320

HARLEQUIN

روايات أحلام

الإنتظار المر

شارون كيندريك

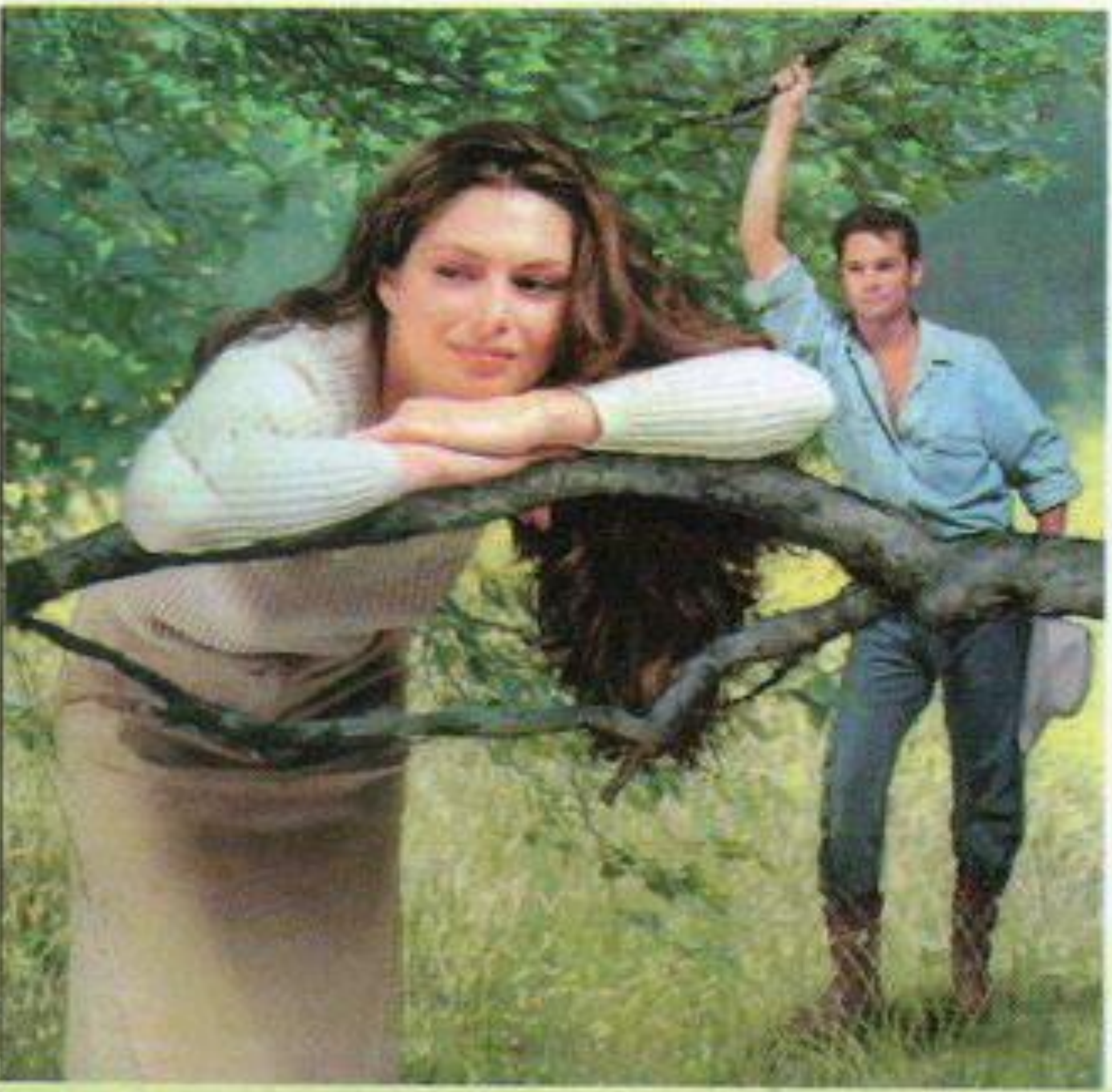

الانتظار المر

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية

زوروا موقع مكتبة رواية

www.riwaya.ga

العدد رقم 320

روايات احلام

الكاتبة : شارون كيندريك

الملخص

– هل تأتين يا صوفي وتعيشين معي في إسبانيا

خفق قلبها " سآتي"

قالت هذا بصوت منخفض, مفكرة بشوق وألم أن هذا يشبه تعهدات الزواج . لكنه لم يكن يعرض عليها الزواج .

نعم, إنه يريدها .... ولكن لاحب هناك ولا زواج .... يريدها فقط مربية لابنه

سألها: " هل ستتخلين عن وطنك وعملك وحياتك".

- نعم – لماذا !

كيف ستجيبه ! هل تقول له إنها تقوم بذلك لأجله.....

لأنها تحبه! إذا فعلت ذلك, قد تخسره.... إلي الأبد!

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الفصل الأول : نظرات قاتلة

رن جرس الهاتف في اللحظة غير المناسبة على الإطلاق. صدرت عن صوفي آهة ضيق , فقد كانت مستغرقة تماما في العمل . مازال عليها أن تنجز الكثير , مع أنها جاءت إلي المكتب منذ بزوغ الفجر .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

في العادة ، تبدأ عملها حوالي الثامنة وتبقي في المكتب إلي أن تنهي عملها مهما تأخر بها الوقت . لا أحد يمكن أن يتهم صوفي بعدم تكريس نفسها للعمل . لكنها المرة الأولي التي ترغب فيها إلي الخروج مبكر ، إذ عليها الاستعداد للخروج في الموعد، وهو موعد غير عادي مع أوليفر دنكان صاحب وكالة إعلانات " دنكانز" المنافسة.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

خفق قلبها توترا لأنها على وشك أن تمضي السهرة مع أكثر الرجال جدارة في لندن، ما جعلها مثار حسد صديقاتها . ضغطت على زر الهاتف الداخلي: " والآن، قلت لك لا أريد أن يزعجني أحد ناريل".

قالت هذا مازحة لأنها تعلم جيدا أن ناريل هي أفضل مساعدة في العالم . ولهذا ربما كان الأمر هاما، بل لا بد أن يكون هكذلك !

لكن صوت ناريل كان منهكا:" مع الأسف، هذا الرجل لا يقبل كلمة (لا) جوابا. لقد أصر على التحدث معك".

فعبست صوفي: " هل أصر على ذلك ؟ لا أظنني أحب الإصرار من الرجال. من هو؟".

– إنه .... أنه..

وتنحنحت ناريل وكأنها لا تستطيع أن تصدق الاسم الذي ستتلفظ به: " إنه دون لويس دي لاكامارا"

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لويس!!

تشبثت صوفي بمكتبها وكأنها تريد أن تنقذ حياتها الغالية. يا للجنون. . . ياللحماقة!

مجرد ذكر اسمه جعل العرق البارد ينضح منها. شعرت بالإثارة، لكن سرعان ما تلا ذلك شعور بالذنب.

ولكن، ماذا بشأن لويس دي لاكامارا؟ إنها تعرف أي نوع من الرجال هو . إنه سطحي ، مثير وغير ملتزم على الإطلاق. ومع ذلك ،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ها هي ذي الآن!صوفي الهادئة العقلانية، التي يجدر بها أن تفكر فقط في أولفير وموعدها معه.

راح قلبها يخفق وكأنه قطار سريع وهي تحدق بالهاتف الداخلي . أصبح أوليفر منسيا، وحل مكانه رجل أسمر هو أكثر الرجال الذين عرفتهم تأثيرا.

تمالكت نفسها ، وراحت تتساءل لماذا يتصللذلك االإسباني المتغطرس بمكتبها ، ويصر

www.riwaya.ga مكتبة رواية

على التحدث إليها ؟ أومأت كارهة: " لا بأس ناريل. صليه بي".

– حسنا.

بعد لحظة سمعة صوفي ذلك الصوت الرجولي العميق، الذي لا يمكن أن تخطئه، يتدفق عبر الهاتف. شعرة بالدم يتصاعد إلي وجنتيها الشاحبتين وذكرت نفسها بأنه متزوج من ابنة خالتها. . . وأنه الرجل الذي تحتقره. هل نسيت؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان عليها أن تعلم نفسها كيف تكرهه. فمن الأفضل أن تكره هذا الجل ، من أن تعترف بأنه يثير أحاسيسها بطريقة تبدو لها مخيفة بقدر ما هي غير مناسبة . وكيف يمكنها ألا تشعر بالكراهية نحو رجل راح ينظر إليها ورغبة واضحة في عينيه، وذلك قبل زواجه من ابنتة خالتها بأيام؟

– صو...في ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إنه يلفظ اسمها كما لا يلفظه أحد آخر .

بذلك الأسلوب واللكنة الخفيفة في الصوت ، اللكنة الإسبانية التي ترسل رعشة خفيفة في الجسم. قطعت صوفي الاتصال بينها وبين مكتب السكرتيرة، ثم رفعت السماعة الهاتف. آخر ما كانت تريده هو أن يملأ أرجاء مكتبها بنبرات صوته المميزة هذه.

منتدى روايتي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وأجابت باختصار وهي تضع قلمها: " إنها هي. حسنا، إنها مفاجأة تامة لويس".

وكان في قولها هذا تبخيس للواقع.

– نعم.

بدا صوته غير مألوف. كان ثقيلا، صلبا، ومرهقا. وشعرة صوفي فجأة برجفة غامضة مهددة، عندما حل المنطق مكان ردة فعلها الغريزية الأولة. وارتفع صوتها بفزع :" ماذا حدث؟ لماذا تتصل بي إلي العمل؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مرت لحظة صمت زادت من مخاوفها، لأن صوفي لم تسمع لويس يتردد قط من قبل . فالتردد ليس واردا في قاموسه. بعض الرجال لا تعوزهم الكلمات، و دي لاكامارا هو مثال نموذجي لهؤلاء. وهمست: " ماذا حدث ؟ ما الأمر؟".

– هل أنت جالسة؟

– نعم! لويس، أخبرني بحق الله !

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هناك في بلاد أخرى بعيدة ، تراجع لويس . لم تكن ثمة طريقة سهلة ليخبرها بالأمر. لا يمكنه أن يفعل شيءا يخفف من ألم الكلمات. راح يقول ببطء: " إنها ميراندا. عليِ مع الأسف أن أخبرك صوفي. . لقد حدث تصادم فظيع. ابنة خالتك . . . قُتلت!!".

كرر كلامه بلغته، وكأن ذلك يساعده على الاقتناع وتصديق حقيقة ما حدث هو نفسه.

صدرة عن صوفي صرخة ممزق جعلتها أشبه بحيوان جريح :" لا!".

- بل هو صحيح.

- هل ماتت؟ ميراندا ماتت؟

سألته وكأنها ما زالت ترجو أن ينكر ذلك. . . أن ينفيه.

- نعم، وأنا آسف صوفي. آسف جدا.

أصبتها هذه الكلمات في الصميم، فترنحت لهول الصدمة.

ميتة! ميرندا ميتة؟ ولكن هذا غير ممكن !

وأخذت تنشج باكية. كيف لامرأة في الخامسة والعشرين ورائعة الجمال أن تختفي من الوجود؟

– قل أن هذا غير صحيح لويس.

– ألا تظنين أنني كنت لأقوله لو أستطعت؟ لقد ماتت اليوم في حادث اصطدام سيارة.

قال هذا متابعا سرد قصتها التعيسة بصوت يكاد يكون رقيقا.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لا!

ارتجفت صوفي وأغمضت عينيها . وما لبث أن ارتسم أمامها مشهد مفزِع آخر ، ففتحتهما مرة أخرى بفزِع: " وماذا بشأن تيودور؟ إنه لم يكن معها، أليس كذلك؟".

صرخت بذلك وقد انقبض قلبها ذعرا وهي تفكر في الطفل الغالي.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقال لويس بصوت مثقل:" في الساعة مبكرة من الصباح ؟ كلا صوفي، لم يكن معها. كان ابني في فراشه آمنا تماما".

– آه ، الحمد لله.

قالت هذا بصوت خافت. اخترقتها موجة كبيرة من الحزن كالخنجر، وقد انطبعت كلماته في عقلها الواعي.

إذا، كان تيودور نائما في فراشه بأمان. فماذا كانت تفعل ميراندا في الخارج في سعاتالصباح

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الباكرة؟ ولماذا لم يصب لويس معها في الحادث؟ وسألته بعدم ثبات:" هل أصبت أنت أيضا، لويس".

في الجو المنزل الريفي الكبير المبرد بالمراوح ارتسمت علامات الكآبة والحقد على ملامح لويس الصلبة الداكنة، وهو يقول بخشونة:" أنا لم أكن معها في السيارة".

رغم أن أفكارها كانت ممزقة لضخامة ما أخبرها به، قطبت جبينها باضطراب. لم لا؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وماذا كانت ميريندا تفعل في الشوارع في ساعات الصباح الأول من دون أسرتها؟

انقبضت يداها ، لا وقت الآن لكلمات مثل لماذا ، وأين ، وكيف. . . ليس الآن . بل المطلوب هو مواجهة هذا الموقف بأكثر ما يمكن من التعاطف. لا بد أن لويس حزين . . . لا بد أن يكون كذلك بالرغم مما قد يكون مر في حياته الزوجية مع ميراندا من أيام سيئة ذلك أن الحياة الزوجية، كما تدرك صوفي ،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لا تخلو مكن بعض المتاعب . أما الآن، فحيات زوجته وأم ابنه قد انتهت بشكل مأساوي. ومن دون اعتبار لما حدث من قبل ، لقد تفجر عالم لويس. لم يكن لشعورها الخاص نحوه أي حساب. . . ليس في وقت كهذا. إنه الآن بحاجة إلي تعزيتها وليس عدائها. وقالت بجفاء: "أنا . . . أنا آسفة للغاية ".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقال بفتور:" شكرا. اتصلت بك لأبلغك الخبر بنفسي قبل أن تتصل بك الشرطة. ولأسألك إن كنت تريدينني أن أتصل بجدتك. . . ."

ذكرتها كلماته بالمهمة الفظيعة التي تنتظرها، وهي إخبار جدتها المسنة الواهنة الصحة بما حدث. وتنفست صوفي بألم. فكرة أن والدي ابنة خالتها لن يعانيا محنة موت ابنتهما الرائعة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الجمال، ذلك أن موت الابنة قبل الأوان لم يكن هو الفجيعة الوحيدة على الإطلاق.

كان والدا ميرندا يعشقان التجوال في العالم. وقد جالا في أنحاء الدنيا الأربع ، يبحثان بنهم عن تجارب جديدة، من دون أن يتعبا من المغامرات والاكتشافات. إلي أن سقطت طائرتهما الخفيفة في أحد الأيام فوق الجبال.

كانت ميراندا حينذاك في السابعة عشرة من العمر فقط، وسرعان ما أخذت تعيش وكأن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ليس هناك غد. والآن لم يعد لها غد فعلا!

قالت صوفي ببطء وهي تكبح دموعها :" لا، سأخبر جدتي بنفسي. ذلك سيكون أسهل. . ."

وابتلعت ريقها. إنها لن تنهار أمامه. لن تفعل ذلك:" إذا أخبرتها أنا، سيكون الأمر أقل إيلاما".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ستحاول أيضا أن تتصل بولديها اللذين يمضيان إجازة عمرهما مستمتعين بترف في إحدى جزر المحيط.

–هل أنت واثقة؟

– نعم.

– سيكون ذلك . . . صعبا. إنها امرأة عجوز .

بدا صوته ناعما كالزبدة. قوت نفسها كيلا تتأثر بذلك الصوت، فمن الضروري أن تبقي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

غير متأثرة بلويس دي لاكامارا، وذلك من أجل مصلحة الجميع.

– اهتمامك هذا هو مراعاة منك لمشاعرها.

أتراها تسخر منه بلهجتها الباردة الغامضة هذه؟

– طبعا، لأنها من الأقارب، صوفي . . .ماذا تتوقعين؟

ماذا تتوقع؟ إنها لا تعلم. وتسائلت كيف بإمكانه أن يلقي عليها سؤالا كهذا في وقت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كهذا. لم تتوقع أن تموت ميراندا الحبيبة بهذا الشكل، أو أن ينشأ ابنها من دون أم وبعيدا عن بلدها. مجرد التفكير فيه حول صوفي من الحزن إلي الطاقة والعزيمة. فسألته: " متي الجنازة؟".

- يوم الإثنين.

وهذا يمنحها ثلاثة أيام.

- سأصل إلي هناك يوم الأحد بالطائرة.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تملك لويس الذعر، ذلك أنه شعر بانتصار مثير وشوق مستحيل لعلمه بقرب رؤيتها مرة أخرى. ولعن جسده الذي خانه إلي هذا الحد.

وقال بتوتر:" اتصلي بي إلي بيتي أو مكتبي، لتعليميني بموعد وصولك. عليك أن تطيري إلي مدريد، ثم تنتقلي إلي بامبلمنا. سأرتب أمر سيارة تأخذك من المطار. هل فهمت ذلك؟".

– نعم ، وشكرا.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شكرته وهي تفكر في قدرته على ضبط نفسه. إلا أنها تذكرت أنه دوما منضبط، وأنه مهما حدث ، يبقي لويس دي لاكامارا. قال لويس برقة وبطء:" إلي اللقاء ، صوفي".

وضعت صوفي السماعة بيد مرتجفة ، وأخذت تحدق بجمود إلي الجدار أمامها وهي تفكر في ميراندا غير مصدقة، وقد دار رأسها.

يالابنة خالتها المسكينة، التي ماتت وحيدة في بلاد غريبة. وحيدة لأنها تزوجت رجلا مرغوبا.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

. . رجلا حملت بولده واستمتعت بأمواله لكن

قلبه كان دوما مقفلا في وجهها. إضافة إلي

ذلك ، فإن لويس دي لاكامارا ذو عينين

سوداوين تنضحان بالقوة وبالمشاعر، ما جعل

صوفي تشك بأنه سيبقي أمينا مخلصا لزوجته،

حتي خلال السنة الأول من زواجهما. وعلى

كل حال، تجاهلت هي الدعوة التي قرأتها

فيهما ذات يوم، لأنها كانت تحب ميراندا.

لكنها تشك في أن تكون لدي النساء

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الأخريات مثل هذه الحصانة أمام سحر لويس دي لاكامارا. والآن على طفل صغير أن ينشأ من دون أم. تحولت نظرات صوفي إلي صورة موضوعة داخل إطار فضي علي مكتبها بكبرياء، فتناولتها وأخذت تتأملها. إنها صورة تيودور، وقد أخذت قبل عيد ميلاده الأول مباشرة،أي منذ أسابيع قليلة. ياله من طفل حبيب ! إنه لا يشبه أمه بجمالها الأشقر بل يشبه أباه بلونه الرائع. وعندما أخذت تحدق

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إلي الصورة ، عادت الصورة وجه لويس الوسيم الصلب تتدفق إلي ذاكرتها بوضوح مر. عندما رأته لأول مرة، لفت نظرها منه عينان سوداوان لامعتان مظللتان بأهداب سوداء كثيفة، كما أن شعره بدا كليلة دون قمر. لقد اصطدمت به في نهاية الطريق فوقف جامدا يحدق إليها بعنف، وكأنه يعرفها من قبل ، ولا يصدق عينيه. أما هي فساورها شعور نفسه. لقد قفز قلبها بعنف وفرح غير متوقع ولهفة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شعرت معها بشوق حلو بطيء. يجب ألا يحدث ذلك لفتاة هادئة ورصينة مثلها. هل يمكن الوقوع في الحب في جزء من الثانية؟ تذكرة بعجز تفكيرها ذاك وهي تحدق في تلك الملامح الأرستقراطية التي يبدو أنها أمضت حياتها بانتظارها. رأت عينيه تظلمان، وقد تصاعد منهما اللهب فوق وجنتيه العاليتين. وانفرجت شفتاه الصلبتان الممتلئتان من دون وعي. لم ينظر إليها أحد قط من قبل بمثل هذه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الوقاحة والغطرسة. وفكرت في أنه يريدها وهي تريده أيضا. واجتاحتها موجة ساخنة ووجدت نفسها تتساءل عما إذا كانت فقدت عقلها كليا.

وإذا بميراندا تظهر حاملة زجاجة عصير ، وقد فتحت فمها دهشة: " صوفي؟ يالله!" . هتفت بذلك ثم رفعت نظرها إلي الرجل من دون تلاحظ التوتر الذي يحيط بهما: " يا لها من

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مصادفة! كنا في طريقنا لرؤيتك، أليس كذلك ياحبيبي؟".

– حبيبي؟

برجفة أعمق من خيبة الأمل، نظرة صوفي ببلادة إلي ميراندا وهي تلمس بإلفه ذراع ذلك الرجل الطويل الأسمر صاحب العينين اللامعتين...

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تلك الإلفة التي بدت بين قريبتها والرجل الغريب جعلت قلبها يغوص عميقا في صدرها. فقد أدركت أن هناك صلة ما بينهما.

– صوفي، عزيزتي. . أحب أن أعرفك إلي دون لويس دي لاكامارا.

قالت ميراندا هذا بزهو ثم ابتسمت لذلك الوجه الأسمر الغامض:" لويس. . . هذه ابنة خالي صوفي ميلز".

– ابنة خالتك؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سألها مقطبا، بينما بدا صوته غليظا وكأن فيه لمحة من المرارو. تلاشت نظرته الغازية العنيفة على الفور. ورأت صوفي هزة كتفيه الآسفة التي احتلت مكانها ، فأدركت أن دون لويس دي لاكامارا لن يلقي عليها قط تلك النظرة مرة أخرى. لأنها، بصفتها قريبة لخطيبته، لا يصلح أبدا للعبث معها. لكن الرجل الذيينظر بهذا الشكل إلي امرأة قبل أيام من عرسه ، هو رجل عابث. أدركت صوفي ذلك بثقة عمياء،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وكرهته لأجل ذلك. قالت ميراندا بابتسامة عريضة:" حسنا، إننا نمضي كل إجازاتنا معا، لهذا نحن أشبه بأختين في الواقع! صوفي، نحن سنتزوج! أليس هذا رائعا؟ طلب مني لويس الزواج!".

ارتجفت صوفي وهي تتذكر الغيرة التي تملكتها. أتكون غيورة من ابنة خالتها؟

أرغمت نفسها على الابتسام وعانقت ميراندا، ثم مدت يدها إلي لويس. لم يكن أي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

منهما غافلا عن الحرارة التي تملكتها بسبب تلامس أيديهما

انحني لويس رافعا أناملها إلي شفتيه بأسلوب مهذب، يدل بوضوح على سلوك الطبقة الأأرستقراطية التي ينتمي إليها. وقد بدة عيناه ساخرتين مكايدتين.

عادوا جميعا إلي شقتها وشربوا العصير معا. وبينما كانت ميراندا تفور بالحياة، كان الرجل الإسباني يجلس مراقبا، مختارا كلماته بعناية.

وقد شعرت صوفي أن وجوده في شقتها يحمل تناقضا ما ، فمن جهة وجدته مناسبا جدا لعالمها، بينما أحست أن في ذلك خطأ كبيرا لأنه رجل ميراندا، كما أخذت تذكر نفسها. . . رجل ميراندا.

أبعدت عنها، بجهد، هذه الذكريات المزعجة، مرغمة نفسها على العودة إلي الحاضر، مركزة أهتمامها على صورة الطفل بدلا من معالم أبيه البالغة الرجولة.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

على الأقل، وجه تيودور ما زال يحمل رقة البراءة، ويمكنها أن ترى فيه قليلا من الطيبة المنيعة التي تميز شخصية لويس.

تساءلفت عما سيحدث لتيودور الآن! هل ستتلاشي من ذهنه ذكرى أمه حتي النسيان تقريبا؟ وعضت صوفي شفتها. إلي إي حد سيخدمه الحظ فيعلم بما حدث لأمه، ويتعرف بموطنها الأصلي؟ وفجأة، خفف الحس الواجب من بعض الأسى الذي تشعر به. لن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يأخذه لويس منا كليا، وكان هذا تعهدا منها . . . ستحارب للحصول على فرصة التعرف إليه وكأنه ابنها! وضغطت زر الهاتف الداخلي إلي ناريل بيد مرتجفة لتطلب منها أن تحجز لها تذكرة إلي إسبانيا.

ثم غسلت وجهها ومشطت شعرها ثم استدعت ليام هولينغزويرث إلي المكتب. ما إن رآها ليام حتي أجفل : " ما الذي تفعلينه بنفسك بحق الله؟ هل أنت بخير؟ ".

فقالت وصوتها مازال يرتجف قليلا :" لا، ليس تماما".

– بحق الله، صوفي . ما الذي حدث لك ؟ ما الأمر؟

– إنها ميراندا، إبنة خالتي . لقد قتلت. . . في حادث اصطدام. على . . . على أن أذهب وأخبر جدتي. . .

– آه، ياإلهي.

– ثم ، أسافر إلي إسبانيا لحضور الجنازة.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– آه، حبيبتي!

كان يقف بجانبها عند المكتب، يحدق إليها بنظرة اهتمام. وفجأة راحت تشهق بالبكاء.

– كفي، حبيبتي!

فشهقت:" أواه، يا ليام".

– تعالي.

قال هذا برقة وهو يضع ذراعه حولها. سمحت لنفسها بالبكاء على كتفه قليلا ، ولكن بعد لحظات ابتعدت ووقفت عند النافذة تحدق

www.riwaya.ga مكتبة رواية

منها إلي العالم الذي لن يعود بعد اليوم كما كان . ثم قالت بتبلد:" مازلت لا أصدق".

فسألها :" ماذا حدث؟".

– ما أعرفه قليل جدا. أعرف فقط أنها قتلت في حادث سيارة . كنت مصدومة إلي حد لم أسأل معه عن التفاصيل.

– كيف عرفت؟

– من زوجها لويس . اتصل بي وأخبرني.

فقطب حاجبيه :" ذلك الرجل المليونير؟ ذلك الذي لا تطقينه؟".

– هو نفسه.

قالت هذا متوترة ، وهي تفكر أن الحقيقة هي أكثر تعقيدا من مجرد أنها لا تطيق الرجل.

– متي موعد الجنازة ؟

– الإثنين. وسأذهب إلي هناك الأحد. ليام، لا أدري إن كنت سأستطيع أحتمال ذلك.

فأومأ بتفهم: " حسنا، سيكون الأمر صعبا. ولكن على الأقل ، بعد ذلك لن تكوني بحاجة للقائه مرة أخرة".

هزت صوفي رأسها :" لكن ذلك ليس سهلا. وياليته كان كذلك! لا يمكنني أن أنفي لويس من حياتي رغم رغبتي في ذلك . لا تنس أنه والد ابن ابنة خالتي، وأنا مدينة لميراندا وتيودور بأن أكافح لأجله".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدت هذه الكلمات وكأنها آتية من مكان مجهول في أعماقها حدق ليام فيها :" تكافيحين لأجله؟ من المؤكد أنك لا تفكرين بطلب الوصاية على الطفل، صوفي؟ إذ لا أمل لك في ذلك . خصوصا أذا كان الرجل غنيا و ذا نفوذ كما تقولين. كما أنه والده".

دلكت صوفي صدغيها شاعرة بالتعب :" لا أدري ما أفكر به. . . ما عدا أن على

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الذهاب إلي هناك الآن. على أن أجعل ثيودور يعلم أن لديه أقارب وأننا نحبه".

– وعندما تنتهي الجنازة؟ هل ستعودين مباشرة؟

منتدى روايتى

فتقابلت أعينهما :" لا أدري. لا أستطيع تحديد وقت معين ، سيبقي بإمكاني القيام ببعض العمل . . إذ سوف أستخدم الإنترنت.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وأظنكم ستتدبرون الأمور هنا من دوني .

أليس كذلك؟".

– طبعا بإمكاننا ذلك . كل ما في الأمر أننا

سنفتقدك.

– شكرا.

همست بذلك وهي تغالي دموعها ، ثم ابتدأت

تجهز حقيبة أوراقها.

كانت معرفتها بليام قديمة. فقد تعارفا في

الجامعة، واكتشفا تماثلهما.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

في امتلاك روح النكتة والطموح إلي اكتساب المال . وهذا يفسر ظهور " شركة إعلانات هولينغزويرث ميلز" وهما الآن يندفعان نحو القمة. امتزاج الحماسة مع استخدام موظفين شبان متألقين مع التطلع إلي أهداف بعيدة متألقة، كان يعني أن ليام وصوفي يقفان الآن على حافة النجاح غير متوقع. ولكن من يهتم بمثل هذه الأمور. في وقت كهذا؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وإذ لم تستطع أن تقود سيارتها لارتجاف يديها، استقلت القطار إلينورفولك. شعرت أن قلبها يبكي على جدتها، فيما هي تصعد مشيا ة إلي الكوخ الريفي حيث كانت تمضي وميراندا قسما من عطلاتهما المدرسية كل صيف. كانتا تسيران أميالا على الشواطىء الخالية الفسيحة، تتسلقان الأشجار، وتطعمان البط السمين في البحيرة بقطع الخبز. وكانت صوفي تراقب جمال ميراندا الذي راح يزداد يوما بعد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يوم. كما رأت بنفسها تأثير هذا الجمال الخلاب على الرجال. قرعت جرس الباب القديم الطراز، سائلة الله أن يلهمها الكلمات المناسبة لكي تخبر الجدة بما حدث. . . عالمة بأنها لن تجد كلمات لا تسبب الألم. كانت فيليستي ميلز في الثمانين من عمرها تقريبا، وقد علمتها الحياة دروسا قاسية. ألقت نظرة واحدة على وجه صوفي ثم قالت بفتور: " خبر سيء؟".

– نعم. عن ميراندا. . .

فقالت متخشية:" ميراندا ماتت، أليس كذلك؟".

....

.. ..

– كيف؟ كيف عرفت؟

همست صوفي تسألها بعد ذلك بوقت طويل ، بعد أن ذرفتا الدموع. ثم أخذتا تلتمسان التعزية في النظر إلي الصورة القديمة لميراندا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عندما كانت طفلة، وعندما كانت تخطو أولى خطواتها، ثم بقية مراحل حياتها، إلي صورة تمثلها عروسا مذهلة.لم تشأ صوفي أن تطيل النظر في تلك الصورة. . . فتري وجه لويس الأسمر يسخر منها ويسبب لها وخز الضمير. وعادة تسأل الجدة:"كيف؟". فتنهدت هذه :" لا أستطيع التفسير! نظرة فقط إلي وجهك فعرفت ذلك. كانت ميراندا إلي حد ما ، معرضة لذلك. فقد كانت دوما تطير صاعدة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نحو الشمس ما جعلها معرضة لأن تحترق يوما ما".

– ولكن كيف أمكنك أن تتقبلي الأمر بهذا الشكل؟

– وكيف لا يمكنني ذلك؟ لقد عشت سنوات الحرب ياحبيبتي . وبهذا تعلمت أن أتقبل ما لا يمكن تغييره.

ضغطت يد جدتها وقالت:" هل هناك. . . هل خناك شيء أقوم به لأجلك ياجدتي؟".

ساد صمت طويل ثم نظرة الجدة إليها:" هناك شيء واحد. . . ولكن قد يكون مستحيلا . أنا أكبر وأعجز من أن أسافر إلي إسبانيا لأحضر الجنازة. لكنني أحب أن أري تيودور مرة أخرى قبل أن أموت". ابتلعت صوفي غصة في حلقها . من المؤكد أن هذا الطلب ليس كثيرا حتي على لويس. . . خصوصا في هذه الظروف. فقالت بصوت مرتجف:

– سأحضره أليك إذن. هذا وعد.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ولكن ربما لن يقبل لويس بذلك.

لمعت عينا صوفي بدموع لم تنهمر: " بل عليه ذلك، عليه ذلك".

– هذه خدمة كبرى منه. عالجي الأمر معه برفق، يا صوفي ، فأنت تدركين الشعور العنيف بالتملك الذي لديه نحو أبنه. كما تعلمين أى نوع من الرجال من تتعاملين معه. أنت تعرفين سمعته. قليلون هم الذين يجرؤون على مواجهته.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أرجو ألا يصل بنا الأمر إلي هذا الحد.

قالت صوفي هذا ثم حدقت بجدتها قائلة وقد بان الاضطراب في عينيها :" ألا تكرهينه ياجدتي لأنه جعل ميراندا تعيسة للغاية؟ .

فأجابت العجوز ببطء :" ليست السعادة هبة يمنحها شخص لآخر. السعادة تحتاج إلي شخصين، والكراهية هي مضيعة للمشاعر تماما. وماذا أستفيد إذا أنا كرهت والد ابن حفيدتي؟" .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لكن إذا أخرجت صوفي الكراهية من المعادلة ، ماذا يبقي لها إذن؟ الجاذبية الطاعية التي كانت ترجو أن يضعفها مرور الزمن. كل ما تريده هو أن تكون منيعة إزاء شخصيته القوية ووجهه الأسمر الذي لا ينسى . إنها لم تر لويس منذ عمادة تيودور، أي منذ سنة، عندما أحضرا الطفل إلي إنكلترا. تعمدت صوفي يومها أن تبتعد عن لويس ، رغم شعورها بأن عينيه الفولاذيتين تراقبانها وهي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تتنقل في أنحاء الغرفة. تساءلت عما إذا كان قد إخلف بعهوده الزوجية حتي الآن. وعندما سنحت لها فرصة للاختلاء بابنة خالتها سألتها إن كان ثمة شيء سيء في زواجهما. لكن ميرندا هزت كتفيها فقط وأجابت بمرارة:" آه، كان على لويس أن يتزوج فتاة إسبانية مطيعة لينة لا تحب الخروج من البيت. يبدو أنه لا يستطيع أن يتعامل مع امرأة لا تعجبها حياة البيت الهادئة".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حينها وجهت صوفي نظرة نارية عبر الغرفة إلي لويس، فلم يقابلها إلا بنظرة ساخرة باردة.

....

....

هبطت طائرة صوفي في " بامبلونا" في وهج الحرارة التي ما زالت مستمرة حتي أواحر المساء الإسباني، فأسرعت تجتاز البوابات وعيناها تتفحصان الواصلين. توقعت أن تجد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بانتظارها سائق سيارة يحمل بطاقة عليها اسمها، ولكن ما هي إلا لحظة حتي رأت شخصا طويلا بانتظارها. وبسرعة لاحظت العينين اللامعتين والفم غير الباسم والملامح الغلقة. بداأطول من أي رجل آخر هناك. لا شك أن وجهه يجذب النساء كالمغناطيس. لا ، إنه لم يتغير، واهيز قلب صوفي بشكل عنيف غير مرغوب فيه.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان يقف بين الجموع ، لكنه يقف وحده.

ويبدو أن لويس دي لاكامارا جاء لاستقبال صوفي شخصيا.

– هل أبعدوها ؟

أخذ لويس ينظر إلي صوفي وهي تدخل إلي قاعة الواصلين من السفر. لاحظ من دون أن يبتسم ، الرؤوس التي كانت تلتفت إليها فيما هي تسير. رغم أنها ،هي نفسها، بدت غافلة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تماما عن ذلك. فهي تملك البشرة البيضاء والشعر الأشقر اللذين يجعلان قلوب معظم الرجال الأسبان تذوب . رغم أنها لم تكن تتعمد لفت انتباه أحد مطلقا. كذلك كانت ابنة خالتها ! شعر بنبضه يتسارِع وهي تتقدم نحوه، وثوبها القطني الخفيف يكشف عن ساقيها الرشيقتين وكاحليها اللذين جعلاه يدهش لمقدرتهما على حمل وزنها. تذكر المرة الأول التي رآها فيها، عندما أسرت خياله

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بجمالها الطبيعي ورشاقتها وجاذبيتها التي لم تكن واعية لها. يوم التقاها شعر برغبة فيها على الفور، ثم احتقر الشعور الحاد الساخن الذي أوحت به إليه، وتلك المشاعر التي لايستطيع إيشباعها أبدا. وقفت أمامه بشعرها العسلي اللون ، وبشرتها البيضاء الشفافة، ورشاقتها التي تماثل في ليونتها شجرة الصفصاف. شعر أن نظراتها تنبئ بعزيمة عابسة تلمع في عينيها الزرقاوين المتألقتين.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أحس لويس بالخطر من تلك العزيمة لكنه حاول تجاهلها . كسا وجهه قناع من التهذيب الرسمي وهو يحني رأسه محييا. لو كانت امرأة أخرة لربما قبلها على الوجنتين، ولكن ليس هذه المرأة. لقد رغب في معانقتها عندما رآها أول مرة. لكن الوقت كان قد فات حينذاك. وهو كذلك الآن!قال بانحناءة رسمية صغيرة: "صوفي، أرجو أن تكون رحلتك كانت مريحة؟".

بدا طويلا إلي حد جعلها ترفع رأسها إليه، وغاص قلبها وهي تري أن رجولته الدفاقة ما زالت بتلك القوة والفعالية الليتين تعهدهما فيه. لكن الطريقة التي تكلم بها كانت أشبه بسؤال عن حالة الطقس. لم يبدو رجل مفجوع قد فقد زوجته حديثا. ولأول مرة، تساءلت صوفي عما إذا كانت تلك المأساة، في الواقع، وضعت نهاية مناسبة لزواج شقي. تمكنت من إبقاء وجهها حياديا خاليا من أي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تعبير وهي تجيب:" كانت مريحة بما يكفي، شكرا". رغم أن الحقيقة غير ذلك؛ فقد أمضت السعات القليلة الماضية وهي تحاول أن تقوي عزيمتها لكي تبقي مهذبة ومتبلدة نحوه. تساءلت عما يكون عليه مشاعره، فالتأثر لا يبدو عليه. لم تري احمرارا في أجفانه أو أثرا لدموع ذرفها على أم ولده. ولكن من يمكنه أن يتصور رجلا مثل لويس يذرف الدموع؟ بدا لها اليوم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

—

شارد الدهن ذا وجه صلب بارد، وكأنه قد من رخام عسلي اللون. لكن مع ذلك، فإن جاذيبته كانت واضحة إلي درجة بالغة. يبلغ طول لويس حالي الستة أقدام،كتفاه عريضتان قويتان. بنطلونه الصيفي الخفيف لم يخف تماما قوة ساقيه الجبارتين المنتصبتين أشبه بعمودين. وتحت كمي قميصه القطني القصيرين، بدة عضلاته المفتولة مظهرة القوة ذراعيه.إلا أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أكثر ما يسترعي الاهتمام فيه، وجهه الذي يحمل طابع أجيال من الأستقراطية الإسبانية. فقد ظهرت عليه الكبرياء تصل إلي حد القصوة، حيث لا يخفف من صلابة ملامحه سوي شفتيه الممتلئتين اللتين تنضحان بالإيحاءات. لا عجب فيأن تغرق ابنة خالتها في غرامه رأسا على عقب. فكرت صوفي في ذلك وقد تملكها الحزن المفاجئ تركها مقطوعة الأنفاس.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لاحظ لويس أثر الدموعِ التي بللت عينيها الزرقاوين، وفضح ارتجاف شفتيها حزنها. مد يده ليمسك بيدها، فإذا بها بالغة الضآلة والبرودة في يده. قال بجد بالغ:" لك تعازي الحارة". رفعت وجهها، وهي تحبس دموعها. وسحبت يدها من يده الدافءة، وقد شعرة باليأس من هذه المشاعر الواضحة بينهما .

تلك المشاعر التي تأمرها بأن تبقي يدها حيث هي بالضبط.

– شكرا.

أجابت برقة، تاركة نظراتها تسقط إلي الأرض، كيلا تقرأ عيناه الفطنتان السوداوان ما كان يدور في دهنها . نظر إلي رأسها المحني وكتفيها المتصلبتين. إنها حزينة على ابنة خالتها، كما ذكر نفسه، رغم أن لمعان التحدي حتي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الغضب تقريبا كان ظاهرا في عينيها. ولم يكن فيه كثير من الحزن بكل تأكيد.

– تعالي، صوفي. السيارة بانتظارنا وأمامنا رحلة طويلة نوعا ما. دعيني أحمل حقيبة ملابسك.

منتديات روايتي

بدا كلامه أمرا أكثر منه عرضا للمساعدة. ورغم أنها أرادت أن تحمل حقيبتها بنفسها، رأت أن لا فائدة من المعاندة رجل مثل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لويس. سيلح على ذلك، كما أخبرتها غريزتها، تماما كما اعتادت ابنة خالتها أن تخبرها عن أسرارهما. إنه من سلالة من الرجال ذوي السلطة، رجال يرون بوضوحِ الخطوط المرسومة بين أدوار الجنسين. قد تكون أسبانيا الآن دولة عصرية كغيرها من الدول أوروبا، لكن أشباه لويس من الرجال لا يتغيرون مع الزمن. إنهم يستمرون في اعتبار أنفسهم أولئك الغزاة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

العظماء المتفوقين. . . وأسياد كل المرئيات .

رأت النساء يرمقنه

وهو يمر بنظرات جانيبية بعضها خجول

وبعضها الآخر متشوق. لم تستطع أن تري ما

يجول في عينيه، وتساءلت إن كان يبادلهن تلك

النظرات الجائعة. ربما! ألم يفعل ذلك معها؟

قبل أن يكتشف هويتها؟ وهو طبعا الآن، من

دون زوجة، يمكنه أن يتصرف كما يريد.

فيمارس سحره ليحصل على أية امرأة يريدها.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان مبني المطار مكيفا، ولكن عندما أصبحا خارجه، لفحت وجهها حرارة قوية أشبه بقفاز مخملي، رغم أن الوقت قد تجاوز الظهيرة. رآها لويس تجفل تحت وطأة الحرارة، فأدرك أن عليه أن يحذرها من حرارة الشمس.

– لماذا لا تخلعين سترتك؟

فقالت متوترة :" أنا بخير". فتصلب فمه:" كما تشائين".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ولحسن الحظ ، أن السيارة كانت مكيفة.

وانتظرة صوفي إلي أن خرج من موقف السيارات متجها نحو الطريق فالتفتت إليه قائلة:" أين تيودور؟".

- في البيت.

- أوه.

سمع خيبة الأمل في صوتها :" هل تصورت أنني سأحضره في هذا الطقس الحار، لكي ينتظر طائرة قد تتأخر؟ ".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ومن يعتني به إذن؟

هل يحمل سؤالها تأنيبا؟ تساءل عن ذلك غير مصدق. أتراها تظن أنه يترك الطفل وحده؟

– إنه تحت رعاية مربيته. . .

منتديات روايتى

رآها تقطب بحيرة فعلم أنها مثل ابنة خالتها لا تعرف الإسبانية على الإطلاق. ساد صمت قصير. ما الفائدة من إخفاء الأمر عنها؟ سرعان ما يشيع الخبر بين الناس. كان يفكر

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بالأسبانية فانزلقت الاكلمات من بين شفتيه من دون وعي. ومع أنها لا تفهم الإسبانية لكنها استطاعت أن تفهم ما يقول من لهجته الثقيلة الفاترة. فأغمضت عينيها بيأس، :" آه، ياإلهي، إسراف في الشرب؟".

– لم تصدر بعد نتيجة الاختبار.

تملكها الغضب العنيف. . . ولأول مرة لم يكن غضبها من الرجل الذي يجلس إلي جانبها بل من ميراندا. لقد كانت أما بكل ما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

في هذه الكلمة من مسؤلية. ولديها طفل عليها أن ترعاه، فكيف كانت بهذا الغباء بحيث تخرج في سيارة سائقها ثمل؟ إلا إذا كانت لا تعلم ذلك.لكن ميراندا لم تكن غبية. كانت عنيدة صلبة . لكنها لم تكن غبية. إلا إذا هذا الرجل الذي

قود السيارته في أنحاء الريف الإسباني المظلم بخبرة بالغة قد جعل حياتها من التعاسة بحيث لم تعد تهتم بالمنطق ولا بسلامتها الشخصية.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وهزة رأسها. لم يكن ثمة مبرر يجعل ميرندا تخرج من بيتها مع سائق ثمل كانت حالتها الزوجية. فهي دوما كانت حرة في أن تنهي هذا الزواج. وألقت صوفي نظرة جانيبية على الرجل الذي بجانبها. أم أنها مخطئة؟ ماذا لم أن ميراندا حاولت أن تهرب آخذة معها تيودور؟ أما كان لويس استعمل نفوذه وسلطته لإيقافها؟.

أدارت رأسها وضغطت خدها على الزجاج

www.riwaya.ga مكتبة رواية

النافذة البارد، ثم نظرة إلي الخارج، شبه مأخوذة بجمال البرية.

كان المنظر حولهما بنفسجيا داكنا والنجوم الساطعة ترصع السماء وقد بدت أكبر حجما وأكثر تألقا منها في إنكلترا. وبدا موطنها فجأة بعيدا جدا. ثم تذكرت أن لديها مسؤوليات هي أيضا. مدت يدها إلي حقيبة يدها وأخرجت هاتفها الخلوي، وسألته:" هل يعمل هذا الهاتف هنا؟". ضاقت عيناه وهو ينظر

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إلي الهاتف:" هذا يعتمد على نوعيته. ولكن لدي هاتف يمكنك أن تستعمليه".

منتديات روايتى

– هل لديك هاتف خلوي معنا في سيارة؟

فالتوي فمه بابتسامة عابسة:" هل تتصورينني أجري اتصالاتي بواسطة أعمدة التلغراف في الأدغال؟ ستجدين هنا كل أجهزة الراحة العصرية، حتي هنا في " لاريوجا" ياصوفي ".

ومع ذلك بدا كلماته تسخر من حقيقة

وجوده. لقد قال (أجهزة الراحة العصرية) فيما هو، بشروده ولونه السمر، يبدو كأنه يمثل كل نقيض كل ما هو عصري .

أخذا ينظر إليها وهي تضغط على الأرقام ثم سألها برقة:" هل اتصالك هذا من الأهمية بحيث لا يمكن أن ينتظر وصولنا إلي البيت؟".

– على أن أخبر شخصا ما بأنني وصلت سالمة.

– أظنه رجلا؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

في الواقع نعم ،أنه، رجل هذا الأمر ليس من شأنه، ولكن فلتدعه يفسر كما يريد. لابد أنه يفعل. وفكر لويس: من الواضح أن في حياتها رجلا. هل تربطهما علاقة قوية؟ وتم الاتصال:

– ليام؟ هاي، هذا أنا. إلي جانبها كان لويس يحدق في الطريق أمامه، متسائلا عما إذا كانت تشبه ابنة خالتها في ميلها إلي الحرية في العلاقات. وقعت نظرته على غير عمد على ساقيها، ولم يكن مستعدا لوخزة الغيرة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

المفاجئة، لتصوره أنها تقيم علاقة مع رجل آخر. ذكر نفسه بأنه عرف نساء كثيرات مثلها. . . ذوات الشعر أشقر وأعين

الكبيرة الزرقاء وأجساد رشيقة. لهن أجساد نساء لكن بعقول الرجال فهن يتصرفن كما يتصرف الرجال منذ سنوات. ما أن يردن شيئا يرغبن فيه حتي ينطلقن للحصول عليه. ألم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ترغب فيه صوفي ذات يوم؟ لكن ذلك حصل قبل أن تكتشف أنه سيتزوج ابنة خالتها، تماما كما رغب هو فيها. . . كانت رغبة لا مثيل لها،أشبه بصاعقة رعدية صعقته وتركته متشوقا ذاهلا. لقد حدث ذلك لها أيضا . رأي هذا بنفسه واضحا كالشمي. أخذ يستمع دون خجل إلي حديثها بينما السيارة تقطع الأميال.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لا، أنا في السيارة الآن مع لويس . . . فترة صمت ثم:" لا. لا، حقا". فترة صمت أخي ثم نظرة إلي ساعتها :" إنها التاسعة تماما. لا، لا بأس في ذلك. نعم. أعرف هذا ، لكنني لا أستطيع أن أتكلم الآن في الحقيقة. نعم. لا بأس . شكرا يا ليام. أنا أرجو ذلك أيضا. لا بأس سأفعل هذا . سأتصل بك نهار السبت".

قطعت الاتصال وأعادت الهاتف إلي علبته.

وقالت بجحود" شكرا". ساد صمت عميق

www.riwaya.ga مكتبة رواية

خطر عندما رآها تضع ساقا رشيقة ببيضاء فوق الأخري، وسألها بنعومة بينما الدم ينبض في رأسه:" هل اشتاق إليك صديقك بهذه السرعة؟". لم تصدق أذنيها. هذا القول كان من الفظاعة بحيث بقيت صوفي خرساء للحظة:" عفوا، لم أسمع جيدا" ظهرت على وجهه شبه ابتسامة ، بدت في العتمة في غاية الجمال والجاذبية. ومع ذلك ظل بإمكانها أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تحول صوتها إلي جليد، فقالت:" ليام، في الواقع، هو شريكي في العمل".

– آه

ثمة شيء قاتم، غامض، يحمل الخطر في هذه الكلمة. شعرة صوفي بخفقات قلبها تزداد لا لشيء أكثر من مجرد الخوف:" هل هناك. . . شخص أخر مقيم في البيت؟".

سمع في صوتها رجفة، فشعر بتسلية رغم أنها جذبته وأشعرته بالأحباط. أتراها خائفة منه أم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

من نفسها؟ هل مازالت تريده؟ سألها بعفوية: "أتعنين عدا تيودور؟".

– أنت تعلم أنني أعني ذلك.

– إحدي نساء المزرعة تأتي لتساعد في إطعامه. وبيرو، وهو بستاني والطاهي عندي، يعيش في البيت مع زوجته سلفادورا. إنها مربية تيودور، كما كانت مربيتي أنا من قبل، عندما كنت طفلا

– عندما. . . متى؟ من قبل أن تموت ميراندا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سألته صوفي وهي تفكر في أن سلفادورا لا بد معتادة قليلا على الطفل الآن. فتمتم مراوغا:" آه، قبل وقت طويل من ذلك. ابني متعلق بها، سترين ذلك بنفسك ".

اكتسحتها موجة سخط تبعها شعور آخر أكثر بدائية. أتراهم أبعدوا ميراندا عن ابنها إلي هذا الحد ؟ أتري المرأة الإنكليزية أبعدت جانبا لتحل مكانها أم بديلة. . . إسبانية تعلم تيودور لغة وتقاليد أبيه؟ حسنا، لن يدوم هذا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مدة أطول بكثير، كما تعهدت صوفي. إنها بشكل ما، ستعلمه شيئا من تراث أمه.

وعادت تفتش في حقيبة يدها عن فرشاة الشعر هذه المرة. قال وهو يلوي فمه:" لن يتأثر أحد هنا بجمالك، عزيزتي". ما عداه هو! وعندما رفعت رأسها، راح يراقب خطوط عنقها الطويل وصدرها الرائع.

– لم أفكر بذلك على الإطلاق!

وأخذة تمشط شعرها العسلي الجميل بعناية، فقد أصبح لزجا بعد رحلتها الطويلة هذه:"كل ما في الأمر أنني أريد أن أكون لائقة عند وصولي ". ورأت الأضواء تلوح من بعيد فسألته:" هل قاربنا الوصول؟".

منتديات روايتى

– نعم. نحن على وشك اجتياز كروم العنب.

عادت تنظر من نافذة السيارة. إنها كروم " لاكامارا" الشهيرة. أكبر كروم في المنطقة.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

والتي يصنع منها العصير ممتاز يصدر إلي كل أنحاء العالم. استندت إلي الخلف في مقعدها وأغمضت عينيها. نظر لويس إليها مقطبا قليلا، وهو يري توتر كتفيها. تساءل عما إذا كانت على وشك البكاء. ورق صوته بشكل غريزي :" هل أكلت في الطائرة؟".

– لا. كان طعاما لا يمكن تمييزه في صوان من البلاستيك، كما أنني لم أكن جائعة.

– إذن سنتعشي معا حين وصولنا.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

- لكن الوقت متأخر بالنسبة إلي العشاء.

- نحن في إسبانيا نتأخر في تناول العشاء. ألاتعرفين هذا؟ ألاتعلمين أن الإسبانيين يطيلون السهر أكثر من أي شعب في أوروبا؟ فهم يعتبرون الذهاب إلي الفراش قبل الثالثة صباحا انتقاصا من شرفهم الشخصي.

فهزة صوفي رأسها:" أنا لم أحضر إلي إسبانيا سوي مرة واحدة لمناسبة عمادة تيودور".

- إذن فقد فاتك الكثير.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدا صوته الآن عميقا رقيقا تقريبا، ما جعله يبدو عطوفا:" وأتمني أن تكون زيارتك هذه المرة في ظروف أسعد، يا عزيزتي. من المؤسف أن ما سترينه من بلادي قبل عودتك إلي وطنك سيكون قليلا جدا".

ساد صمت مشحون، تجاهلته صوفي. لكن لويس عاد يقول :" بالمناسبة، لم تخبريني كم ستمضين هنا؟".

– لا. لم أخبرك.

– إذن؟

سرها وجود الظلام لأن طريقة لفظ كلمة تلك كانت أقرب إلي التهديد.

– أنا غير واثقة.

لن ترحل قبل أن تتأكد أن بإمكانها اصطحاب تيودور معها في عطلة إلي انكلترا ليري جدة أمه. أما الآن ، فالوقت غير مناسب للحديث عن ذلك. ثم ذكرت نفسها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بأنها ، بصفتها ضيفته، عليها أن تكون مهذبة:" أحب أن أقيم عدة أيام على الأقل وربما أكثر، إذا وافقك ذلك. أحب أن أتملي من رؤية تيودور".

منتديات روايتى

ضاقت عيناه. لا! ذلك لا يوافقه. إنه لا يريد تلك المرأة في بيته مدة أطول مما هو ضروري. . وذلك لسببين سهلين ومع ذلك معقدين

www.riwaya.ga مكتبة رواية

للغاية: إنه يرغب بها، لكنه لا يستطيع أبدا أن يجعلها له. لا الآن ، ولا فيما بعد. . .

إل أنه قال برقة:" الأسبان مشهورون بحسن الضيافة، يا صوفي، ولهذا منزلي هو منزلك للمدة التي تريدينها ".

أومأت صوفي. هذا إلا إذا جعل إقامتها هنا مستحيلة:" شكرا".

– أهلا و سهلا.

صعدت السيارة الطريق المنزل المرصوف بالحصي والمظلل بأشجار غريبة رأت صوفي من خلالها أضواء البيت المرحبة بها.

فتح باب السيارة فخيل إليها أنها تشم روائح أشجار البرتقال والليمون، وكان نسيم الليل مغمسا بروائح براعم الأزهار الغريبة. نظرت إلي المبني الفخم المهيب ةالذي يبدو وكأنه موجود منذ الأزل. إنه يوحي بحس بالجمال والتاريخ، من المستحيل إنكاره بالرغم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

منالظروف المحطمة للقلب التي أحضرها إلي

هنا. ثم ، إذا بسواد هاتين العينين الساخرتين

يغمرها، وهو يقول برقة :" مرحبا بك في بيتي

، صوفي".

من يدفع الثمن ؟

كان بيت المزرعة من الداخل بارداً منعشاً,

ولا بد أن هناك من علم بوصولهما. فما إن

تناول لويس معطف صوفي ووضع حقيبة

ملابسها على الأرض, حتى ظهرت امرأة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

متوسطة في السن في آخر الردهة. نظرت إلى لويس بابتسامة دافئة قائلة بالإسبانية: "مساء الخير, سيد لويس".

رأت صوفي وجهه يشع عطفاً وهو ينحني ويقبلها على خديها:"مساء الخير, سلفادورا".

قال بالإسبانية شيئاً بسرعة, ثم قال لصوفي بالإنكليزية ببطء وعناية:"هذه سلفادورا,مربية تيودور. هذه صوفي ميلز, إبنة خالة ميراندا"

– مساء الخير .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قالت صوفي هذا بالإسبانية بأدب. راودتها أفكار متشككة وهما في السيارة, في أن هذه المرأة أكبر سناً من أن تتحمل مسؤولية طفل لم يكد يتجاوز سنته الأولى, وها قد تعززت أفكارها تلك لدى رؤيتها لمظهر هذه المرأة المنهك الهش. خيل إلى صوفي أن الحذر بدا على وجه المرأة, فقد ضاقت عيناها وهي تشملها بنظراتها من أعلى إلى أسفل, لكن الحذر عاد فتحول إلى انحناءة احترام

www.riwaya.ga مكتبة رواية

خفيفة؟"مساء الخير, سينورا ميلز. آسفة جداً لموت ابنة خالتك المفاجئ".

عضت صوفي شفتها، وحدثت نفسها لا تريد دموعاً. بإمكان الدموع أن تنتظر:" شكراً"

ثم تابعت،بجهد بالغ وبابتسامة مرتجفة: "أنت تتكلمين الإنكليزية بشكل جيد سلفادور !".

احلى منتدى

أومأت سلفادورا برزانة:"شكراً, دوماً كنت كذلك. كان لدي السيد لويس معلم للغة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الإنكليزية عندما كان صغيرا، فتعلمت معه أنا أيضا!".

حاولت صوفي أن تتصور لويس صبيا صغيرا، يتعلم الإنكليزية، ولكن لم يكن سهلا أن تتصوره ذا وجه ناعم بريء كوجه ابيه.

– وطبعاً، من الضروري أن تعرف مربية تيودور لغة أمه.

قال لويس هذا فالتفتت صوفي إليه :"لماذا؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لكي تتمكن المرأتان من التفاهم،أليس كذلك؟

قال هذا بجفاء ، وعندما رأى الدهشة على وجهها تصلب وجهه. هل تتصور أنه ينكر على ابنه تراث أمه ؟ هل تظنه شيطاناً شريراً؟

وتساءلت صوفي، ولم تكن تلك المرة الأولى ،عما جعل ميراندا تحتاج الى من يعاونها في تربية تيودور. فلم يكن لها وظيفة خارج البيت،كما أنها لم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تكن تعمل داخل البيت، كما علمت من اتصالاتها الهاتفية . تذكرت كم بدت ميراندا مسرورة عندما اكتشفت مبلغ ثراء لويس ونفوذه.

– إنه ليس رائعاً فقط ، أنما ثري أيضاً ، يا صوفي . ثري تماماً!

قطبت صوفي حاجبيها عند ذلك وهي تتساءل عما إذا كانت طفولة ميراندا المتقشفة قد أعمت عينيها عن الحقيقة. وأجابتها:"

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نعم، لكن المال ليس كل شيء ، صدقيني! ما دمت سعيدة ياميراندا ، هذا هو المهم ".

– آه ، لكنني سعيدة تماماً ! كيف يمكن الا أكون سعيدة في وضعي هذا، مع رجل مثل لويس؟ ثم ما أروع أن يكون لديك خدم. لا استطيع أن اصف لك.

موقف ميراندا هذا لم يعجب صوفي، مع أنها شعرت بوخزه من الغيرة، لكنها لم تقل شيئاً حينذاك. وحتى لو إنها قالت ، ما كان ذلك

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سيشكل فرقاً. فلطالما كانت ميراندا مستعدة للقتال بأسنانها وأظافرها للحصول على ما تريد. وقد أرادت لويس ! وأي عاقل يلومها لهذا؟

قطع أفكارها صوته العميق:" ستأخذك سلفادورا إلى غرفتك الآن ، يا صوفي".

قال لوسي هذا وهو يراقبها عن قرب، متسائلاً عما جعلها تقطب جبينها بهذا الشكل ، وسبب لها قشعريرة بدر انكمش

www.riwaya.ga مكتبة رواية

معها جلد ذراعيها النحيفتين ، فبدتا باردتين ضعيفتين.

تلك النظرة الثاقبة أذهلتها، لكنها أرغمت نفسها على أن تتذكر السبب الرئيسي لقدومها إلى هنا : " هل . . . هل يمكنني أن أرى تيودور أولاً . . . من فضلك ؟".

احلى منتدى

رأى مبلغ شحوبها وتوترها ، و الظلال الخفيفة تحت عينيهاما جعل وجهها الجميل يبدو

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شارداً. فهز رأسه بعزم: " أولاً، يجب أن تأكلي شيئاً".

- ولكن . . .

- لا اعتراضات ، صوفي . اغتسلي وغيرّي ثيابك أولاً، ثم نتناول العشاء. لم تتعود مثل هذه السيطرة من أي رجل ، وأوشكت أن تحتج لولا أن وميضاً متسلطاً في عينيه الفاحمتين أنذرها بأن احتجاجها سيقابل بأذن صماء، وأنها سترى الطفل حين يسمح لها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بذلك. وعليها أن تنهي الوجبة كلها أولاً.

قالت، غير راغبة في الجلوس معه وحدها ، خوفاً من اضطرارها إلى مسايرته طوال الوقت ، أو صدّ الأفكار الممنوعة: " لا ضرورة إلى إزعاج أنفسكم بتقديم عشاء لي. يكفيني أن أتناول شطيرة في غرفتي".

ضاقت عيناه غيظاً لرفضها ضيافته : " من غير الجائز عدم تقديم الطعام إلى ضيف قادم من رحلة طويلة ، هذا إلى أن أمامك غداً يوماً

www.riwaya.ga مكتبة رواية

طويلاً مرهقاً. ستنضمين إليّ في غرفة الطعام لتناول العشاء ".

هكذا هو مرة أخرى . . . يأمرها بدلاً من أن يسألها ! ماذا سيفعل إن هي أصرت على البقاء في غرفتها؟ ولكن ألا يبدو هذا غباء منها؟ لا يمكنها أن تختبئ منه طوال مدة وجودها هنا. من الأفضل إذن أن تعتاد على تناول الطعام معه، مهما كانت هذه الفكرة مفزعة لها ومثيرة في الوقت نفسه . ومن المؤكد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أن الوقت غير مناسب الآن للتفكير بهذا الشكل!

فأومأت:" لا بأس. سأغيّر ملابسي ثم أنزل مرة أخرى"

– سأكون في الانتظار .

شعرت صوفي بشيء من عدم التحكم في نفسها وهي تتبع المرأة العجوز إلى الطابق الأعلى . راحت تتساءل كيف يمكن ان يعتاد المرء على أن ينال كل أمنياته.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رغم أن راتبها هو أكبر من مريح ، فقد كانت دوماً تفتخر باستقلالها . فهي خلافاً لأكثر صديقاتها ، لا تستأجر من ينظف لها شقتها، كما أنها لترسل قمصانها إلى المصبغة لتنظيفها.

دوماً كانت أمها تكرر عليها القول إن تكليفك من يقضي لك شؤون حياتك هي مهمة تجعلك تبتعدين عن حياتك نفسها.

احلى منتدى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كم هي الحياة مختلفة هنا، مع البستانيين و الطهاة و النساء اللاتي يعتنين بالطفل.

كانت غرفتها المنعزلة باردة يحتلها سرير عريض بسيط مغطى بملاءات ناصعة البياض. وقد وضع أناء فيه أزهار بيضاء لم تعرف نوعها على المنضدة، كما كانت هناك مروحة في السقف .

تمنت لو أن بإمكانها لأن تستلقي فقط وتغمض عينيها ، لكنها تعلم أن مضيفها غير المتسامح في انتظارها.

أشارت سلفادورا بإصبعها: " الحمام هنالك. أتحتاجين إلى شيء يا سينورا؟" .

السلام هو في قمة قائمتها، لكن لا سلام يلوح في المستقبل المنظور، مع وجود لويس الذي يبدو أشبه بملاك أسمر مغرٍ . أزاحته من

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ذهنها أن هناك أشياء أهم بكثير تريد أن تعرفها.

سألت: "كيف حال تيودور؟".

مجرد ذكراها اسم تيودور أدفأ قلبها :" هل يفتقد أمه كثيراً؟."

مضت لحظة لم تجب فيها سلفادورا ،وكأنها لم تفهم بعد أنه سؤال بسيط. ثم قالت بحذر :" طبعاً. إنه يعلم أن ثمة شيئاً حصل ، إنه يبكي ، لكننا سرعان ما نجعله يضحك مرة أخرى".

شعرت صوفي بالغثيان(إنه يعلم أن ثمة شيئا حصل)؟ لكن الطفل فقد أمه، وها هي ذي سلفادورا تجعل الأمر وكأنه ألقي لعبته من عربته! ولكن لدى سلفادورا سلطة أيضا، سلطة على تيودور، اكتسبتها من قربها منه ورعايتها له. وهي، أي صوفي، بحاجة إلي أن تخبرها بأنها تحب الطفل وهذا سبب حضورها إلي هنا. فقالت برقة:" أرجو أن أساعد أنا أيضا في جعله يضحك. شكرا سلفادورا.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أرجوك أن تخبري لويس بأنني سأنزل للعشاء بسرعة".

– نعم سنيورا.

علقت صوفي ملابسها، وارتاحت وهي تغتسل لتتخلص من آثار السفر. ربطت شعرها المبلل في ضفيرة ولبست ثوبا قطنيا. كان البنطلون سيشعرها براحة أكبر، لكنها خافت من أن يكون للعشاء في هذا المنزل الفخم صفة رسمية معينة.

وكانت علي الصواب!

احلى منتدى

عندما دخلت غرفة الطعام، رأت أن لويس قد جلس إلي مائدة مستطيلة مجهزة لشخصين، وكان قد غير ملابسه. ما أن وقعت عيناها عليه حتي تسارعت ضربات قلبها بشكل مفاجئ . لقد استبدل القميص القصير الكمين بقميص ناصع البياض يبرز العضلات جسمه الصلب. وقد ترك الزرين العلويين

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مفتوحين، فبدة بشرته السمراء والشعر الأسود الذي يكسو صدره. وعندما نهض واقفا لدخولها بدا بنطلونه الأسود في غاية الأناقة، وكأنه قادم لتوه من إحدى اللوحات المعلقة على الجدران، والتي تمثل صور أجداده. جف فم صوفي حتي أصبح كالرماد.

قال لويس بلهجة رسمية وهو يقف:" مساء الخير. أرجو أن يكون كل شيء حسب رغبتك". مضت لحظة نسيت صوفي فيها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كيف تسير بشكل صحيح، فوقفت مترنحة عند العتبة وهي تتشبث بمقبض الباب بأصابعها المرتجفة لتسند نفسها. أدركت أنها أصبحت وحدها مع هذا الرجل الرائع الذي ترغب فيه وتخاف منه في الوقت نفسه. قطب جبينه وهو يرى شحوب وجهها الذي جعل بشرتها تبدو شفافة. وخاف من أن يغمي عليها فجأة، فأسرع نحوها:" هل من خطب؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هل من خطب! بالطبع! إنها تشعر بكل ما عليها أن لا تشعر به، مالا تريد أن تشعر به. أفكار قاتمة اكتنفتها وسجنتها بين تصورات ممنوعة

ووجدت نفسها تدعو الله أن يرحمها ويريحها من هذه المشاعر. عليها أن تركز مشاعرها على تيودور وعلى ذكرى ميراندا. . . وليس على تأثير مضيفيها الذي يذيب العظام.

وهزت رأسها:" لا، أنا بخير".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

- إجلسي إذن من فضلك.

وجذب لها كرسيا، ثم عاد إلي مقعده:" لأنك لا تبدين لي بخير".

جلست على مقعدها شاكرة، ورغبتا منها في إلهاء نفسها، لم تنظر إلي عينيه الفاحمتين، بل أجالت نظرها في المكان، متأملة بجلستهما الرسمية إلي العشاء. كانت المائدة مجهزة بأفخر أنواع الفضيات وأبهي الأزهار، ومضاءة بالشموع. فكرت صوفي أنها من نوع الموائد

التي تحتاج إلي عصا البلياردو كي تدفع المملحة من ناحية إلي أخري، فقد كانت طويلة جدا. لم يحدث قط من قبل أن بدا لها تناول شطيرة في غرفة النوم بمثل هذه الجاذبية والأمان. قالت وهي تبتلع ريقها:" ما كان لك أن تتكبد كل هذا العناء لأجلي!". رفع حاجبيه متسائلا بغطرسة:" عناء؟ أؤكد لك أن هذا العشاء هو كالمعتاد بالضبط". فكرت صوفي أن ذلك أمر طبيعي. فهي لا تتصور

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لويس من أولئك الرجال الذين يتناولون عشاءهم على صينية أمام التلفزيون! قالت بشيء من الضعف:" آه، فهمت!".

أخذ يتأملها. لم يكن يتوقع نزولها بع، وكان يتصورها تغير مظهرها في غرفتها. لكنه لاحظ أن وجهها لم يمس ولا يزال كما رآه في المطار. لم تعبأ بوضع أية زينة عليه، كما أن شعرها ما زال مبللا من الدوش. وقد جعلها ثوبها تبدو

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نظيفة منعشة وأصغر من عمرها بكثير كما منحها مظهرا بريئا.

احلى منتدى

والتوي فم لويس بسخرية؛ لقد أعتاد على نساء يفعلن أي شيء للتأثير عليه. يضعن زينة الوجه بحذر ودقة ويرتدين أزياء مصممة بعناية بحيث تظهر جمالهن ورشاقة أجسامهن. في وقت كهذا لم يكن يتوقع ملابس فاخرة عليها، لكنه توقع أن تبذل ولو بعض الجهد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فوق العادة. بدا واضحا أن صوفي ميليز لا تحاول التأثير عليه، القطني متواضع قدر الإمكان، ومع ذلك جعلت بساطته جسمها يبدو أكثر إغراء. بدت مزيجا مثيرا من البراءة والحنكة. شعر لويس بالإثارة على كره منه، وفكر في أن هذا التأثير قد يكون متعمدا. ربما هي تعلم بالضبط ردة فعل الرجل إزاء المرأة ذات المظهر البريء. قال بهدوء:" أرجوك أن تتناولي حساءك". أخذت ترتشف الحساء إلا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أنها لم تستطع أن تقاوم انجذاب نظراتها إلي مضيفها. آه، كم يبدو مثبطا للهمة! ليس فقط لجلوسه في الطرف الآخر للمائدة. لا، بل تلك الروعة

بريق الحزن الذي يلمع في عينيه ألبعيدتي الغور، كانا يمنعانها من التحدث إليه.

– سنيور؟

نظرت صوفي حولها فرأت فتاة اسبانية رائعة الجمال ، صغيرة السن ، تقف عند الباب.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقال إلى صوفي مشيراً إلى زجاجة:" أتريدين عصيراً؟" وكانت هي بحاجة إلى شيء ينعشها

:" نعم . . رجاءً".

تمتم بالاسبانية فأسرعت الفتاة على الفور تسكب العصير في كأس صوفي البلورية ثم أكملت لتملأ كأس لويس.

شربت صوفي قليلاً من العصير :" إنه . . . لذيذ".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فرفع كأسه بنضرة مفكرة :" أظن علينا أن نشرب نخب الشكر لله لأجل حياة ميراندا". وكان هذا أكثر مما تحتمل! وضعت صوفي كأسها على المائدة بيد مرتجفة ، وقد عجبت للمقدار الذي يمكن أن يصل إليه نفاق الرجل. أليس لديه فكرة أن ميراندا قد أفضت إليها بأن الدون لويس المدمّر الجاذبية لديه قلب من الثلج ؟احلى منتدى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فسألته :" أتعني حياتها بشكل عام، أم حياتها هنا؟ إذا كان الأمر كذلك ، فهذا لن يكون نخباً بهيجاً، كذلك يا لويس؟"

يا لمشاعرها المحمومة ! كما أخذ يفكر وهو يرى الغضب يلتهب في عينيها كالكهرباء . فواجه التحدي فيهما شاعراً بالنبض يخفق وامضاً بالحياة في صدغيه. سألها بجدية:"وهل كانت تلك حياة فظيعة؟"

لم تهتز نظراتها، وخرجت الكلمات من فمها بسرعة ملؤها المرارة:" يا ليت الله لم يجمعها بك! ".

أوما لويس ببطء. لو لم يقابل ميراندا لما كان لديه تيودور، وهو لا يتصور حياته من دون ابنه هذا. كم أخبرت ميراندا صوفي عن حياتها معه؟أخذ يتساءل وهو يضع كأسه وينظر إليها متأملاً. ثم سألها ببطء:" صوفي هل تعرفين كيف كانت علاقتي بميراندا ؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أعلم أنك التقطها من الطائرة حيث كانت تعمل كمضيفة .

جمد مكانه :" التقطها؟".

انطلقت هذه الكلمة من فمه بكبرياء غاضبة وكأنها رصاصة:" أتظنينني من نوع الرجال الذين يدورون حول العالم، يعرضون حبهم على المضيفات الطائرات؟".

– وما أدراني؟ لم تنقصك النساء قط ، أليس كذلك؟ لم أسمع بذلك. بريق المحزن الذي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يلمع في عينيه ألبعيدتي الغور، كانا يمنعانها من التحدث إليه.

– سنيور؟

نظرت صوفي حولها فرأت فتاة اسبانية رائعة الجمال ، صغيرة السن ، تقف عند الباب.

فقال إلى صوفي مشيراً إلى زجاجة:" أتريدين عصيراً؟" وكانت هي بحاجة إلى شيء ينعشها ": نعم . . رجاءً".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تمتم بالاسبانية فأسرعت الفتاة على الفور تسكب العصير في كأس صوفي البلورية ثم أكملت لتملأ كأس لويس.

شربت صوفي قليلاً من العصير :" إنه . . . لذيذ".

فرفع كأسه بنضرة مفكرة :" أظن علينا أن نشرب نخب الشكر لله لأجل حياة ميراندا".

وكان هذا أكثر مما تحتمل! وضعت صوفي كأسها على المائدة بيد مرتجفة ، وقد عجبت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

للمقدار الذي يمكن أن يصل إليه نفاق الرجل. أليس لديه فكرة أن ميراندا قد أفضت إليها بأن الدون لويس المدمّر الجاذبية لديه قلب من الثلج ؟احلى منتدى

فسألته :" أتعني حياتها بشكل عام، أم حياتها هنا؟ إذا كان الأمر كذلك ، فهذا لن يكون نخباً بهيجاً، كذلك يا لويس؟"

يا لمشاعرها المحمومة ! كما أخذ يفكر وهو يرى الغضب يلتهب في عينيها كالكهرباء .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فواجه التحدي فيهما شاعراً بالنبض يخفق وامضاً بالحياة في صدغيه. سألها بجدية:"وهل كانت تلك حياة فظيعة؟"

لم تهتز نظراتها، وخرجت الكلمات من فمها بسرعة ملؤها المرارة:" يا ليت الله لم يجمعها بك! ".

أومأ لويس ببطء. لو لم يقابل ميراندا لما كان لديه تيودور، وهو لا يتصور حياته من دون ابنه هذا. كم أخبرت ميراندا صوفي عن حياتها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

معه؟أخذ يتساءل وهو يضع كأسه وينظر إليها متأملاً. ثم سألها ببطء:" صوفي هل تعرفين كيف كانت علاقتي بميراندا ؟".

– أعلم أنك التقطها من الطائرة حيث كانت تعمل كمضيفة .

جمد مكانه :" التقطها؟".

انطلقت هذه الكلمة من فمه بكبرياء غاضبة وكأنها رصاصة:" أتظنينني من نوع الرجال

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الذين يدورون حول العالم، يعرضون حبهم على المضيفات الطائرات؟".

وما أدراني؟ لم تنقصك النساء قط ، أليس كذلك؟ لم أسمع بذلك..

جعلته يبدو وكأنه أحد قطط الأزقة. صرف لويس بأسنانه:" أنا لا أنشيء علاقات من دون تمييز. ولم أكن كذلك قط". ألقت عليه نظرة باردة غير مصدقة :" أحقا؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقال بلهجة خطرة:" صوفي. . . ". ثم سكت. إنها هنا ربما لأيام معدودات فلماذا يسود ذكرياتها ويغامر بجعل حزنها لفقد قريبتها أسوأ مما هو عليه؟ وعندما لاحظت سكوته سألته:" ماذا؟". فهز رأسه:" لا شيء". ما الذي يخفيه عنها؟ ما الذي لا يجرؤ على إخبارها به؟ فقالت بعناد:" أريد أن أسمع قولك أنت عن كيفية تعارفكما". سادت لحظة صمت، ثم أخذ يسرد ذكرياته برقة وابتسامة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

جافة:"كنت أقوم برحلة عمل بالطائرة إلي نيويورك. أحضرت لي ميراندا شرابا ثم كتبت اسم فندقها على الفوطة المرافقة للكأس مقترحة أن نتقابل هناك لتناول شرابا".

– وأظن أنك لم تستطع أن تقاوم هذا العرض.

– ولماذا أقاومه؟ كانت فتاة جميلة مليئة بالحياة.

أخذت صوفي رشفة أخري مرتجفة من شرابها:" لا فرق بالنسبة إليك ، أيا تكن المرأة. أليس

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هذا ما تعنيه؟". شعر بالغضب وبالكبرياء:" لو أن المسألة كذلك، لكنت أمضيت حياتي كلها مع النساء". تسارعت خفقات قلبها واهتزت لقوله هذا:" هذه مباهاة متغطرسة يا لويس".

احلى منتدى

– إنها ليست مباهاة بل هي حقيقة بكل بساطة، يا عزيزتي.

لكنه رأي شحوب وجهها فلانت قسماته. كانت متعبة منهكة وحزينة للغاية، فقال

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بهدوء:" هيا، فلنشرب حساءنا بسلام، وندع الحديث في هذا الموضوع". هزت صوفي رأسها. أرادت أن تعرف شيئا عن حياة ابنة خالتها هنا، فقد بدت الصورة غير واضحة بالنسبة إليها. كانت اتصالات ميراندا بها غريبة نوع ما. فهي لم تكن تكلمها إلا عندما تكون وسط الأزمات الكثيرة، التي يبدو وكأنها تتعقبها طوال حياتها.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أريد أن أعلم. أريد أن أسمع تفسيرك لما حدث.

كانت تتكلم وكأنه يخضع للمحاكمة، كما أخذ يفكر بمرارة. لأجل ابنه واسم دي لاكامارا، يجب أن لا يحاكم ويثبت جرمه: "حسنا جدا. أنا لا أنكر أن الغرور تملكني لاهتمامها بي. عندما تفصح امرأة رائعة الجمال عن رغبتها في رجل ما، ما الذي لا يفعله الرجل؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لكنني أظنك نويت على علاقة عابرة؟

فنظر إليها دون أن يفهم :" علاقة عابرة؟ وأي بهجة يمكن أن تنتج عن علاقة خاطفة كهذه؟". سمعت الحيوية والنشاط في صوته ورأت

العاطفة المشبوبة على ملامحه الوسيمة المتكبرة، فأدركت أن ميراندا في ملاحقتها للويس قد طارت حتي قاربت الشمس، ثم دفعت الثمن. أن تعرف رجل كهذا بشكل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حميم، ثم تلد له ابنا لا بد رفعها إلي قمة
تسبب الدوار حيث لا يبقي أمامها سوي
الانحدار، أدركت صوفي بثقة عمياء، لم تستطع
تفسيرها، أن لويس يملك شخصية مراوغة.
فهو لا يمنح المرأة سوي جزء من نفسه.
جسده. نعم، لكن قلبه؟ وتساءلت إن كان
لرجل كهذا قلب في الحقيقة. وإذا ما كان
يملك قلبا ، فهو كما قالت ميراندا مرة،
مصنوع من الثلج وليس من لحم ودم.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– إذن فقد كنت تقدم إليها مستقبلا، إليس كذلك؟

فهز كتفيه:" ليس للعلاقات شكل معيّن أنا أسميها علاقة معترف بها".

– يا لها من كلمة باردة تطلقها على ذلك!

– لا أعني ذلك. كانت علاقتنا بهيجة للغاية، حينذاك على الأقل.

احلى منتدى

– لكن الطفل غير ذلك ، كما أظن؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مرّ صمت قصير متوتر قال بعده بجمود:" نعم، صوفي. الطفل غيّر كل شيء".

– ولكن . . . ولكن. . . إذا لم يحصل ذلك، هل كنت ستتزوجها؟ .

قابل نظراتها بثبات، متسائلا عما جعله يتحدث إلي هذه المرأة بتلك الصراحة. كان يدرك أن سرد المزيد من الحقائق سيؤلمها، فما الغاية من ذلك؟ فقال برقة:" أظن أن هذا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الحديث طال بما يكفي، أليس كذلك؟".

فقالت متوسلة:" أخبرني".

– أظنك في أعماقك، تعرفين جواب هذا ، أليس كذلك يا صوفي؟

فقالت بصوت خافت:" إذن فأنت لم تحبها؟ أنت تزوجتها لكنك لم تحبها!".

– أنت تلقين سؤالا مستحيلا.

– ليس مستحيلا . . . ربما صعبا لكنه ليس مستحيلا.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ساد صمت عميق مشحون قبل أن يقول بهدوء:" لا أظنني أعرف ما هو الحب! أتعرفينه أنت؟ كل ما أعرفه هو أن ميراندا كانت حاملا وكان من واجبي أن أتزوجها. ومن مسؤوليتي أيضا".

- واجب؟ . . . مسؤولية؟

ليس هذه كلمات رجل أحب وخسر من يحب. وبقلب متألم تقبلت صوفي حقيقة أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الأستقراطي الإسباني المتكبر لم يحب ابنة خالتها حقا

ساد صمت عميق مشحون قبل أن يقول بهدوء:" لا أظنني أعرف ما هو الحب! أتعرفينه أنت؟ كل ما أعرفه هو أن ميراندا كانت حاملا وكان من واجبي أن أتزوجها. ومن مسؤوليتي أيضا".

– واجب؟ . . . مسؤولية؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ليس هذه كلمات رجل أحب وخسر من يحب. وبقلب متألم تقبلت صوفي حقيقة أن الأستقراطي الإسباني المتكبر لم يحب ابنة خالتها حقا

– وهل علمت هي بأن زواجك منها مجرد واجب؟ هل أخبرتها بذلك؟ بأنها أصبحت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

زوجتك فقط بسبب الظروف؟ ألهذا كانت تعيسة إلي ذلك الحد؟

فقال بحدة :" انتهي الموضوع، ولن أتحدث فيه أكثر من ذلك، والآن تناولي حساءك".

فتحت فمها لتعترض، لكن العينين السوداوين منعتاها من ذلك، فأدركت أنها قالت ما يكفي وأكثر. ولماذا تغضبه؟ يكفي الإرباك والقلق. لكن تحويل ذلك الغضب إلي شجار سيكون

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هزيمة لها، بينما هي بحاجة إلي رؤية تيودور. ولأجل ذلك تريد لويس إلي جانبها. . .

– تناولي طعامك من فضلك.

عاد يقول لها ذلك وقد رق صوته على غير توقع. وإزاء هذه الرقة، خف شعور المحاربة في نفسها، فأقبلت على طعامها بنهم لم تكن تتصوره. كانت" الغازباتشو" لذيذة وكذلك العجة الممزوجة بالأعشاب الحلوة التي جاءت بعدها، ثم الحلوى مع القشدة التي لم تترك منها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شيئا. وعندما انتهت ورفعت بصرها رأته يراقبها متأملا، فقال برزانة:"كنت جائعة جدا".

– نعم.

روايتى

وحاولت أن تتذكر آخر مرة أكلت فيها وجبة كاملة. كان ذلك قبل اتصاله الهاتفي، أي منذ يومين:" حسنا، لم يكن لدي شهية مؤخرا".

وضع فوطته على المائدة:" لا، طبعا، تعالي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صوفي، يجب أن تنامي الآن". فهزت رأسها: "ليس الآن". ووقفت مترنحة فرأت التساؤل في عينيه. فأرغمت نفسها على أن تقول: "أرجوك لويس ، أحب أن أري تيودور الآن".

كان يفضل أن تنتظر حتى الصباح فهي تبدو بالغة الشحوب والإنهاك في هذا الوقت من الليل. . . حتى أنه يخشى أن تقع بين ذراعيه في أية لحظة. حاول أن يكبح فكرة مبلغ البهجة التي سيجدها حينذاك. لكنه رأي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

التصميم الذي بدا في ذقنها المرفوعة فتنهد بخفة:" حسنا جدا، تعالي معي". تبعته وهي تتنهد بارتياح، شاعرة بالذنب والاضطراب لعدم تمكنها من تحويل نظراتها عن حركاته. ما كان لهذا الشعور أن يتملكها، الآن وهي معه. . . وخصوصا في وقت كهذا. آن لرغبتها فيه أن تغادرها منذ زمن طويل تاركة مكانها شعورا باكراهية، فإلي أي جهنم ذهب هذا الشعور الآن؟ اجتازا متاهة من الممرات

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ثم وقف أمام باب والتفت إليها :" عليك الآن أن تكوني هادئة جدا. لقد أصبح نومه قلقا مؤخرا، وعلينا ألا نوقظه مهما كان الأمر". فردّت عليه همسا:" لا عجب من أن يصبح نومه قلقا، فالأطفال يشعرون بالفطرة.

.

ولابد أنه يفتقد أمه كالمجنون". بدا وكأنه يريد أن يقول شيئا، إلا أنه عاد فغير رأيه ووضع إصبعا على فمه:" هششش! . . . لا مزيد

من الكلام. تعالي". دخلا الغرفة بصمت كشخصين يمثلان شخصية " سانتا كلوز"، وعندما وقفا بجانب السرير طفل واسع قديم الطراز، أخذ قلب صوفي يخفق . لم تكن صوفي رأت تيودور منذ تعميده، عندما كان عمره عدة أسابيع. ومع أن عدة الصور له وصلتها من ميراندا، وآخر صورة أخذت في عيد ميلاده الأول، ولكن لا شيء أعدها للصدمة العاطفية الناتجة عن رؤيتها طفل ميراندا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مستلقيا هنا، غافلا عن العالم كله. كان فمه الوردي مضموما باستياء، وأهدابه الملائكية الكثيفة السوداء منسدلة على وجنتيه. وبدت خصلات شعره فاحمة السواد على الوسادة، وخيل إلي صوفي أنها تري آثار دموع جافة على خديه. دمعت عيناها وهي تري براءته وضعفه. وفكرت أنه سيستيقظ في الصباح ويشعر بالتعاسة لأجل أمه، من دون أن يفهم سبب غيابها . مسكين تيودور الحبيب!مدت

يدها بالغريزة لتبعد خصلة من شعره، لكن قبضة من الحديد أمسكت بيدها هذه قبل أن تصل إليه.

روايتى

– لا.

همس بذلك بصوت ناعم مهدد. وقبل أن تستطيع صوفي منعه، كان قد أخرجها من الغرفة وأغلق الباب خلفهما. بقي ممسكا بمعصمها. كان تشعر بأصابعه القوية مغروزة في

لحمها، كما استطاعت أن تشعر بالغضب يلمع في عينيه السوداوين. كان أقرب إليها من أن تتجاهلة . . . أقرب من أن تشعر بالارتياح، ومع ذلك ليس قريبا بما فيه الكفاية. كل خلية في جسدها كانت تصرخ بأنه في مجال اللمس . وفي لحظة هوس وجنون أرادت صوفي أن تلمسه قبل كل شيء.تماما كما فكرت في المرة الأولى التي وقعت عيناها عليه فيها. أن تلقي بنفسها بين هاتين

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الذراعين القويتين، وتريح رأسها المنهك على كتفيه العريضتين وأن تشعر بقوة جسده. قال لويس بغضب:" حذرتك بألا توقظيه، يا آنسة. أتريدين لأن يبدأ بالبكاء بقية الليل ولا يقبل التعزية؟". فقالت وهي تنزع معصمها من قبضته:" لم أكن أفكر". شعرت بنبضها يخفق بقوة تحت أصابعه القوية، وتساءلت عما إذا كان هو أيضا شعر بذلك. ثم تساءلت عما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إذا كان قد تكهن بأن سبب ذلك ليس الخوف أو الغضب.

– لا.

قال هذا عابسا ، وإذا بفمها المرتجف وعينيها المظلمتين توقظان فيه مشاعر مفاجئة ما زاد من حدة غضبه:" أنت لم تفكري. حسنا، حاولي

أن تفكري الآن. تيودور هو طفل وليس دمية. . . لا يمكنك أن تحمليه بدافع من نزوة في منتصف الليل مهما كانت الظروف، وخصوصا ظروف كهذه حاولي أن تفكري فيه وفي ما يحتاجه هو وليس أنت!".

أنهي كلامه بمرارة فحدقت إليه. لقد حاولت جهدها أن تخفي كرهها له ولكن يبدو أنه يفعل الشيء نفسه. تراجعت خطوة إلي الوراء

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وقالت بهدوء:" تصبح على خير، لويس، أنا ذاهبة إلي سريري الآن".

انتهاء الفصل الثالث

4–لماذا أنتظرك ؟ –

نظر لويس إلى الرأس الأشقر و هو يفكر ...

كانت صوفي ترتدي السود ، وتبدو صغيرة في السن إلى حد سخيف : "صوفي ".

رفعت إليه بصرها بتلبد : " ماذا "

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ناولها فنجاناً صغيراً من القهوة ،و أمرتها عيناه السوداوان برقة : "هاك . اشربي هذا ".

اومات كأنها مخدر ثم أخذت منه الفنجان .

فقد أمضت معظم النهار و هي تسير خلف جنازة مزينة بالزهور ، فشعرة و كأنها تتحرك كآلة جامدة .

أخذ ينظر إليها وهي ترشف القهوة من خلال شفتين متجمدتين . بدت له ضئيلة الجسم كدمية ، وهي مكومة في إحدى تلك

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الكراسي الكبيرة الحجم التي أجلسها عليها برفق . وكانت عيناها الزرقاوين الكبيرتين تحتلان وجهها الناصع البياض.

روايتى

تأوه لويس بصوت منخفض , كأنه يزيل ما يشعر به ، شاعراً بالارتياح لان هذا النهار شارف على نهايته. كانت الجنازة مزينة وقوراً في الوقت نفسه، وثمة أربعة كهنة يقومون

بالطقوس الكنسية تبعاً لمركز لويس، وليس لان ميراندا كانت متدينة بشكل خاص.

سألها برقة: "هل تشعرين بتحسن الآن؟".

– نعم .

وكانت مسرورة لانتهاء كل شيء الآن . ها قد انقلبت صفحة أخرى تاركة المحنة خلفها. لقد مرّ بها النهار بسلام بشكل ما. خلال تشييع الجنازة وصلت مجموعة من الم****ن، براقي الأعين، أنقي اللباس، عددهم حوالي

العشرين أو الثلاثين. أبلغها لويس عابسا، أنهم " شلة "ميراندا في الملاهي. لكن أكثر المحتشدين في الكنيسة كانوا من أسرة وأصدقاء لويس. . . وقد جاء والداه بالطائرة من مدريد لحضور الجنازة

.

م أعادتهما سيارة للتوّ إلي المطار. حدّقت إليها والدة لويس بفضول، لكنها عانقتها، ما جعل صوفي تشعر نحوها بالشكر. كانت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ميريندا قد أخبرتها أن علاقتها بوالدة لويس ليست علاقة طيبة. . . فقد قالت في أحد المرات إنها كانت تفضل لو تزوج أبنها من إسبانية صغيرة ظريفة. لكن حزن والدة لويس بدا لها صادقا وقد تقبلت صوفي تعزيتها وهي تترنح. نظرت في أنحاء الغرفة. كان الجميع قد ذهبوا، ولم يبق سواهما في غرفة الجلوس المزخرفة والوقور في الوقت نفسه. بدا لويس في ملابسه السوداء الرسميا إلي حد بالغ. . .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بدا رجل غريبا أسود الشعر وفي ملابس سوداء. . . لم تكن تفصلهما عن بعضهما البعض سوي بضع خطوات ومع ذلك فقد بدا بعيدا عنها مليون ميل. سألته :" أين تيودور؟".

– سلفادورا تحمّمه .

– أليس الوقت مبكرا لذلك؟

فأجاب متهكما :" أظنني أدرى بمصلحة ابني، أليس كذلك؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عضت شفتها بإحباط. لم تكد تري الطفل منذ سحبها أبوه الغاضب من غرفته ليلة أمس، ظنا منه أنها تحاول أن توقظه عمدا. واليوم أحضروه إلي الكنيسة في سيارة خاصة مع سلفادورا، وقد تعلق بعنقها طوال الوقت.

قابلت صوفي نظرة لويس اللامبالية بتمرد مفاجئ:" لويس، هل تحاول أن تبقيني بعيدة عن ابن ابنة خالتي؟". رفع حاجبيه وكأنها

قالت شيء غير مفهوم:" ولماذا أفعل شيئا كهذا؟".

– أظن هذا واضحا. ألا تريدني أن أعرفه؟ أو لعلك لا تريده أن يعرفني؟

فقال بحرارة:" يا إلهي . . . الطفل يشعر بالتشتت وضياع. . . ".

روايتي

– حسنا، طبعا هو كذلك. فقد فقد أمه لتوّه.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فتح فمه ليجيب ثم غير رأيه ونظرت إليه بإحباط:" أليس لديك جواب لذلك؟ ألا يمكنك أن تتصوّر أهمية هذا الأمر بالنسبة إلي طفل ؟ منذ لحظة كانت أمه هنا. . . وإذا بها في اللحظة التالية. . .". وتلاشي صوتها وتأوهت. إنها تصعب الأمر بالنسبة إليه. ورفعت بصرها إليه وقد تألقت عيناها:" حسنا؟". فقال بصوت ثقيل:" صوفي. الأمر

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ليس كما تتصورينه. كان يمكن أن يكون أسوأ".

– وكيف؟

اختار كلماته بعناية، كأنه يقتلع أشواكا غرزت في لحمه:" لم تكن مرياندا من نوع الأمهات اللواتي يمضين مع الطفل كل ساعة من يقظته". سمعت في صوته إشارة إلي شيء غير معروف:" أتريد أن تخبرني أنها أم سيئة؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أنا أقول إنها لم تكن . . . بقربه. . . أغلب الأوقات. كانت تترك أكثر العناية بالطفل إلي سلفادورا. . . ولابد أنك رأيت البرهان على ذلك اليوم. أي شخص يمكنه أن يري أن تيودور متعلق بها كليّا .

لم تشأ أن تصدق، مع أن لهجته بدت صادقة. وعضت شفتها وهي تتذكر حديث ميراندا عن حياتها بعد أن أصبحت أما. ألم تقل أن الأمومة ليست تماما بالجمال التي يصفونها به؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ألم تقل لصوفي إنها لن تقدر قيمة الحرية إلا بعد أن تفقدها؟ قطبت صوفي جبينها. هل كانت ميراندا تهمل ابنها بغيابها عنه؟ . . . هل أجبرتها تصرفات لويس على الابتعاد عنه؟ ربما لم تتمكن من احتمال اهتمامه بالنساء الأخريات؟ وتأملت وجهه الجامد. حتي لو كانت تلك هي القضية، هل هناك فائدة من أن تدع ذلك يعيقها عن هدفها الحقيقي من وجودها هنا؟ وماذا يفيد تيودور أن تلوم هي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أباه وتعنفه؟ كان لويس يراقب التعبير السلخط الذي بان في زمها لشفتيها، وتنهد: " ماذا تريدين صوفي؟ أخبريني بصراحة وأنا سأهتم برغباتك". لكن الرعب تملكها وشعرت بقشعريرة باردة. فكلماته الخافته قد تحمل تفسيرا آخر. أتراها مجرد خدعة من الطبيعة تجعلها تشعر به كرجل يهتم بها؟ تساءلت بيأس صامت. هل الموت وحده هو الذي يظهر قوة الحياة؟ ابتلعت ريقها مركزة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

على الوقائع وليس على رغباتها، ثم قالت ببطء:" سأخبرك بما أريد لويس .

روايتي

أريد أن أمضي بعض الوقت مع ابن ميراندا لكي يعرفني ويحبني. . . ". فكرر غير مصدق:" أن يحبك؟".

– وهل هذه جريمة؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لا، ليست جريمة. ولكن هل تظنين حقا أن هذه الأشياء يمكن أن تحدث بين ليلة وضحاها؟

– طبعا لا أظن ذلك. لكنها أيضا لا تحدث إذا أنا بقيت بعيدة عنه. كنت أحب أن أراه وهو يأخذ حمامه. . . فقال بهدوء:" ظننتك متعبة، وأكثر حزنا اليوم من أن تهتمي بنظام تيودور اليومي".

– مثلك، كما أظن.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أنالست مدعيا صوفي، أنا أتألم لحيات فتية ضاعت سدي،لكني لن أذرف الدموع على الوسادة الليلة.

ضاقت عيناه مفكرا:" من يدري؟ البعض يقول لا. هذا ما كانت النساء تقوله أثناء فترة شبابي. لكنني سأخبرك بأمر يا صوفي : عندما يتعلق الأمر بأبني، من المؤكد أن لدي قلبا وتصميما بالغا بألا أدع شخصا أو شيئا يؤذه على الإطلاق. هل أنا واضح؟". واضح

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كالبرور! وكذلك نبرة التهديد في ذلك الصوت العميق الغني. قوة شخصيته هذه قد ترهب أي امرأة ألآخري بسهولة لكن صوفي لديها قضية تناضل من أجلها. . . أو بالأحرى، شخص. اقتناعها أنها تناضل لأجل تيودور منحها القوة لكي تبادله نظرة التحدي.

– ليس لدي النية في إيذاء تيودور على الإطلاق، لويس.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ولا رغبة لديك في وصف أبيه بأنه شيطان أسود القلب؟

قابلت الشموخ والكبرياء في نظرته من دون أن تجفل:" حتى ولو كان هذا رأيي . . . لا يمكن أبدا أن أحاول التأثير على مشاعر طفل صغير. ربما أنت لا تشعر نحوي بأية مودة، لويس. . . لكن علاقتنا ليست هي الشيء الهام هنا، وإنما علاقتي بتيودور". فقال بهدوء:" ولكن لا علاقة حقيقية لك بتيودور".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– صحيح، لا علاقة حقيقية لي به. وربما ما كنت سأراه سوى في مناسبات عائلية عرضية. لكن الأمور تغيرت. ما حدث من قبل ليس له صلة بالموضوعِ الآن. ميراندا ماتت وأنا أريد أن تسنح لا بنها فرصة بتعرف فيها إلي الشق الثاني من أسرته. أن يعلم عن جذوره الإنكليزية، بدءا من الآن.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقال وقد ضاقت عيناه:" الآن؟". فأومأت وهي تقف وتسوي تنورتها:" وفي هذه اللحظة، بعد أن ينهي تيودور حمامه، أريد أن أقرأ له حكاية قبل النوم. لا أظن أن لديك اعتراضا على ذلك. لويس؟".

تسلل شعاع من الشمس من بين مصراعي النافذة فأحال شعرها إلي خيوط ذهبية. ومع بشرتها الناصعة البياض المناقضة تماما للون ثوبها الأسود بدت له غاية في النقاء، ما جعل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

النبض في صدغه يتسارع. فأجاب بصوت أجش:" طبعا لا أعتراض لدي، لكنك لن تعترضي إذا كنت أنا أيضا موجودا".

– أتخاف أن أخطفه وأهرب به؟

قاوم دافعا يدفعه إلي أن يجيبها بشكل منطقي، فهي لا تملك جواز سفر لابنه. لكن المبدأ هنا كان أهم من المنطق العملي؛ على صوفي ميلز أن تعرف تماما حقيقة وضعها ووضعه. فقال بصوت ناعم مبطن بالتهديد:" حاولي القيام

بشيء كهذا يا صوفي. أتعلمين ما معني أن
أغضب؟ أنا "

ي لاكامارا" ولا شيء يمكن أن يأخذ مني عنوة، هل فهمت؟". كانت ملامحه الصلبة قد توترت بمشاعر مظلمة بدائية لا أثر فيها للحضارة، ما جعله يبدو كعدو لا يرغب معظم الناس في مواجهته. وتملك صوفي اليأس للحظة. . . لماذا أختارت ابنة خالتها أن تقرن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نفسها برجل كهذا؟ لماذا لم تستقر وتسعد مع أحد أؤلئك الرجال الذين كانوا يعشقونها حتى العبادة؟ هل لأن الفوز به كان صعبا، وهذا وحده يكفي؟ ألم تكن ميراندا دوما تلاحق من يهرب منها؟ وتألقت العينان السوداوان:" هل فهمت"

وفجأة، اكتسحتها موجة من الإرتياح بردت شيئا من توتر الذي أصابها. لقد أنتهي أسوأ جزء من هذا النهار. . . وهي ستقرأ للطفل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

القصة:" آه، لأجل الله يا لويس، لا تبالغ في مشاعرك هذه! سأذهب لأحضر الكتاب القصص من غرفتي". ولأول مرة هذا النهار، ابتسم:" حسنا جدا. وأنا سأحضر تيودور إلي هنا لينتظرك". وفي غرفتها غيرت ملابسها مستبدلة بثوبها الأسود بنطلونا وبلوزة قديمتين. فالأطفال هم الأطفال حتى ولو كانوا قد اغتسلوا حديثا. وهكذا لم يعد يقلقها إذا تقيأ على ثيابها أو سال لعابه. هي بحاجة أن تكون

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مرتاحة الأعصاب معه بقدر ماهي متلهفة إلي احتضانه. تناولت أحد الكتب التي قد أحضرتها معها وطردا ملفوفا بورق متألق الألوان ، ثم أغلقت باب غرفتها خلفها وعادت تهبط السلم إلي غرفة الجلوس. لكنها عندما وصلت إلي الباب المفتوح وقفت جامدة تستوعب المشهد الذي بدا أمامها.

كان لويس ممددا على السجادة يلعب مع ابنه. ولا بد أنه كان قد خلع سترته وربطة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عنقه، وفتح أزرار قميصه العليا أن صدره الأسمر بد مكشوفا. لم ير صوفي وهي تدخل لأن اهتمامه كان مركزا على ابنه الممتلئ الجسم والذي كان يملأ الجوّ ضحكا وهو يصرخ: بابا!. . . بابا! وكان لويس يضحك هو أيضا، ملقيا برأسه المغطي بالشعر الأسود إلي الخلف، منطلقا على سجيته في البهجة.

تنفست صوفي بعمق غير مصدقة، وهي تراه يلوي قسمات وجهه بشكل مضحك حتى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ليكاد يصبح غير مميز. هل هذا حقا لويس دي لاكامارا؟ وتمتلكها الذهول. كانت عيناه السوداوان قد رقتا والتوى فمه بابتسامة عطف وتسامح، فيما القبضة الصغيرة السمينة تتشبث بكتفيه. عاد يضحك وهو ياقي برأسه إلي الخلف بينما الأصابع الصغيرة تخدش ذقنه. رنين ضحكه هذا جعل شيئا داخل صوفي يشب إلي الحياة بشكل غير مرغوب فيه. لم تشك يوما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بجاذبيته تلك، والتي كانت واضحة لكل امرأة على وجه الأرض . لكن لويس هذا، الرقيق الحنون، فاجأها تماما. لم تره قط بهذا الشكل، من قبل، أو بهذه

لجلسة المسترخية البهيجة. كان يبدو. . . كان يبدو صبيانيا تقريبا، عندما أخذ يتمتم شيئا في أذن تيودور. حاولت أن تقنع نفسها بأن الغريزة فقط هي التي جعلت قلبها يبدأ بالذوبان، تماما كالغريزة التي تجعلك توجه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ضربة إلي الذبابة التي تئز قريبا من وجهك.

والغريزة ليست عقلانية وإنما هي قاسية

عشوائية. هزت رأسها وكأنها تنكر أن يكون

في شعورها ذاك غير الجاذبية الجسدية. . .

لأن التحكم في ذلك كان سهلا تماما. بينما

من الخطورة البالغة أن تبدأ في النظر إلي لويس

بعطف ناسبة إليه صفات غير موجودة فيه .

أنه شغوف بابنه وهذا كل شيء . . . هذا كل

شيء عند ذلك رفع لويس نظره إليها، وإذا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بملامحه تتغير وكأنه بسحر ساحر، وكأن غطاء امتد عليها فجمدت، أما هو فَ◌َقَدَ وجهه بعض حيويته ونشاطه. وربما أحس تيودور بما أصاب أباه فأدار رأسه المغطي بالشعر الأسود فجأة، ليحدق في صوفي بعينين واسعتين متسائلتين. البراءة والاضطراب اللذين قرأتهما في عينيه أحدثا غصة في حلقها، فسارعت نحوه. ارتجفت يدها التي تحمل الكتاب والهداية تأثرا برؤيته مرة أخرى . إن تيودور جزء منها،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

جزء من لحمها ودمها هي أيضا، مثل لويس. ركعت بجانبه على الأرض، وسرورها لرؤيته أعماها عن رؤية ساقي لويس الممتدتين على بعد إنشات منها. قالت برقة وبصوت متهدج متأثر:" هالو، حبيبي تيودور". تابع الطفل تحديق فيها والرزانة بادية على وجهه الصغير فقال لويس برقة بالإسبانية:" تيودور. . . هذه صوفي ابنة خالتك. أنت قتبلتها مرة وأنت صغير جدا". فقالت مرة أخرى:" هالو،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حبيبي". لكن الشعور بالحقارة تملكها وهي

تري شفتيه ترتجفان والدموع تسيل من بين

أهدابه السوداء الكثيفة وهمست بعجز: "

أواه، تيودور، لا تبك".

روايتى

جلس لويس ، وأخذ يهز ابنه بين ذراعيه وهو

يتمتم له بالأسبانية بأرق وأنعم طريقة يمكن أن

تصدر عن رجل. أما هي فجعلته بيكي.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نظر لويس إلي وجهها المصدوم وتملكته شعور بالعطف على كره منه.

كان الطفل قد هدأ بين ذراعيه ، فقال لها بهدوء : "لا تلومي نفسك يا عزيزتي . فهذا وقت صعب بالنسبة إليه ".

قابلت نظراته فرات فيها تفهماً خطف أنفاسها :"نعم".

– أنظري . لم يعد يبكي .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قال هذا وهو يعبث بشعر ابنه الأسود .

أومأت صوفي وهي تتساءل عما إذا كان الطفل سيعانقها ذات يوم كما يع أمسك لويس بالكتاب ثم قال شيئاً بالاسبانية لابنه ، فأومأ برأسه على كتفه ثم التفت ببطء .

فسأله أبوه :" هل نقرأ الكتاب معاً ، نحن وصوفي ؟ تعالي . تعالي يا صوفي "

أشار إلى احد الأريكتين . وتبعته هي وقد أحست بالخجل فجأة . أنتظرها لويس حتى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

جلست ، فجلس ماداً ساقيه بينما ظل ابنه متعلقاً برقبته أشبه بقرد صغير .

ربضت صوفي على حافة الأريكة ، وقد افعمت خياشيمها رائحة هي مزيج من محلول بعد الحلاقة ورائحة رجولته الخاصة. ثم فتحت الكتاب .

مال لويس نحوها لينظر إليها، فأصبح محلول بعد الحلاقة أشد تأثيراً .

وسألها :"ما هي القصة ؟"

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أنها أغاني أطفال .

كانت قد اختارت الكتب التي أحضرتها بعناية فائقة ، متروّية ، خائفة من أن تجلب ألاغاني ذكريات مؤلمة عن ميراند .

– أرجو أنك تحب أغاني الأطفال يا تيودور !

فترجم لويس لابنه قولها فمال هذا إلى الأمام . وجذبت نظراته صورة براقة رائعة الجمال لشجرة جوز فضية واجاصة ذهبية .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقال لويس :" انه يعرف قصصاً اسبانية فقط
"

ولكن من المؤكد أن ميراندا كانت تقرأ لابنها قصصاً انكليزية :" حسناً، هذه قصة انكليزية تتحدث عن اسبانية . وهكذا تبدو رائعة ! والآن اسمع ، تيودور : كان عندي شجرة جوز لا تحمل ثماراً ... "بدأت تنشد الأغنية ببطء وتنغيم، وأخذ تيودور يصغي وقد بدت عليه البهجة. وعندما وصلت إلي الفقرة التي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تقول:" ابنة ملك إسبانيا جاءت لتزوريني وكل ذلك لأجل شجرة الجوز الصغيرة التي عندي!".

روايتى

ضحك لويس ، ووجدت صوفي نفسها تضحك معه. أذاب الضحك الجليد بينهما، ثم تلاشي كليا عندما قرأت صوفي حوالي عشر أغنيات. ثم شعرت بلمسة خفيفة على ذراعها، وعندما ألتفتت وجدت عينيّ لويس

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مسمّرتين عليها وقد بدا فيهما الأسف:" تأخر الوقت يا عزيزتي. أنظري إنه يشعر بالنعاس".

رأت الصبي يفرك عينيه بقبضته ثم يتثائب، وهو يجاهد لكي يسمع المزيد من الأغاني.

فأغلقت الكتاب وهمست:" سأقرأ لك المزيد من الأغاني غدا يا تيودور. هل تحب ذلك؟".

ترجم له لويس ما قالته بالإسبانية ، فكوفئت بإمائة صغيرة للغاية جعلت خصلات شعره تتراقص، ثم ما لبث أن وضع إبهامه في فمه، ثم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عاد يريح رأسه على انق أباه. ولم يبد لها ذلك محتملاً.

كتف أبيه. نظرت إلي لويس وهو يقف، ثم أزاحت خصلة من شعرها عن وجهها: "أيمكنني. . . أيمكنني أن أساعدك في وضعه في السرير؟". جمد مكانه وقد أسرته منها هذه الحركة فكادت تفقده توازنه، الطريقة التي أعادت بها شعرها إلي الخلف جذبت انتباهه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إلي صدرها تحت قميصها المقفل الحائل اللون.
ضاقت عيناه وشعر بخفقة في صدره، وبموجة ساخنة تكتسحه. لعنها بصمت رغم أن هذا الإغراء صدر منها من غير وعي ولم يكن متعمدا. وقال بفتور:" لا. ليس الليلة".
رفعت حاجبيها متسائلة، فعاد يشير بشفتيه بغطرسة بكلمة(لا)، من فوق رأس ابنه. ألقت صوفي عليه نظرة متمردة. لم تشأ إثارة جلبة أمام تيودور، مع أن الأمر لم يعجبها مطلقا.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كيف يجرؤ على أن يتراوح تصرفه معها بين السخونة والبرودة، فيتصرف وكأنها طلبت منه أمرا فاحشا؟ فكل ما طلبته هو أن تساعده في وضع ابنه في السرير، وذلك بعد جلسة قراءة ودية للغاية. لكنها منحت تيودور ابتسامة رقيقة وقالت بلطف:" تصبح على خير". ثم كررتها بالإسبانية وسرعان ما كافأها الطفل بالتواء سريع من فمه، أنبأها بالضبط كيف كانت شفتا لويس عندما كان في مثل سنه.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صعد لويس بابنه السلم وهو يزفر، منتظرا أن تنزاح هذه المشاعر التي تمتلكه، وتمتم في سره: تباً لها.

روايتى

راح جسده ينبض بالمشاعر وحواسه تحترق، ما جعله يشعر باضعف. ماذا فعلت به، وكيف؟ ولماذا يزيد الزمن من شوقه إليها بدلاً من أن يخمده كما يحصل معه عادة؟ في غرفة تيودور أخذ يراقبه منتظرا وهو يمرر على شعره بيده

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إلي أن نام الطفل. عند ذلك فقط تنفس لويس بعمق ينظر إلي ابنه، وهو يفكر بحزن ومرارة، كم هو مسكين و بريء! أمه دفنت اليوم، وكل ما بإمكان أبيه أن يفكر فيه مشاعره الجسدية الملحّة.

جلست صوفي قبالته إلي العشاء وهي في مزاج من يعاني من الصداع. في البداية، لم تنطق

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سوى بكلمات معدودات. كما بدت فاقدة الشهية. قطب لويس حاجبيه:" أليس الدجاج لذيذاً؟".

– إنه لذيذ جداً.

– لماذا لم تأكلي منه جيداً إذن؟

لكن جوابها قوطع برنين الهاتف، وبعد ذلك بلحظة دخلت سلفادورا:" دون لويس؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

- اماذ فقالت بسرعة:" إنها ألخاندرا". أومأ لويس ثم نهض وافقاً، وتمكنت صوفي من رؤية النظرة العابسة في عينيه.

- هل تسمحين لي؟

- بالطبع.

حاولت أن تصغي إلي حديثه، تماما كما أصغى إلي حديثها مع ليام. لكنها لم تستطع أن تفهم كلمة من الإسبانية السريعة التي كان يتكلم بها. أياً كانت ألخاندرا هذه، فهو على علاقة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حميمة معها بكل تأكيد، فقد بدا ذلك من طريقة حديثه معها. ولكن عندما عاد إلي الغرفة، خيّل إلي صوفي أنه يبدو متوتراً. فقد بدا وجهه الوسيم متوتراً مظلماً، كما أنه راح ينظر إلي ساعته بين الحين والآخر. وأخيراً، وضعت فنجان قهوتها على المائدة بشدة: "هل أنا أعطلك عن سيء ، لويس؟". فقال : " تبدين متعبة قليلاً".

– نعم، وكذلك أنت.

فقال محاولاً ألا يطيل النظر إلي عنقها العاجي الطويل:" هل لي أن أقترح أن تنسحبي إلي غرفتك في أول فرصة؟ كان النهار شاقاً".

روايتى

– وأنت؟ هل تنوي النوم باكراً؟

تصلبت شفتاه وأخذ النبض يخفق في صدغه .

هل تصورت أن وجودها هنا كضيفة يمنحها الحق في أن تحاسبه على تصرفاته؟ فقال بنعومة:" عليَّ أن أخرج، إذا لم يكن لديك

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مانع". تساءلت صوفي عما سيفعل إذا أجابت بأن لديها مانعاً فعلاً. هل يلغي ما جعله يبدو بهذا الشرود؟ ومع ذلك ، ربما من الأفضل أن يخرج. يمكنها أن تتصل بليام وتتفحص بريدها اللإلكتروني، وتهتم ببعضشؤنها الخاصة. وهكذا ستشغل نفسها عن تذكر أحداث هذا اليوم الهائل، وتبقي أفكارها بعيدة عن هذا السيد الأسةد العينين الذي نهض واقفاً الآن.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وقف لويس ينظر إليها ويداه في جيبي بنطلونه. لم تستطع صوفي أبعاد نظراتها عنه . شعرت بحلقها يجف، فأرغمت نفسها على الانتباه بينما راحت أصابعها تطوي فوطة المائدة. نعم. . . من الأفضل أن يخرج ويبتعد عنها إلي أقصي ما يمكنه. فقالت بصوت مبحوح:" طبعاً ليس لدي مانع". ألقي نظرة أخيرة عليها. بدت جميلة للغاية. جعلت أضواء الشموع لون شعرها بلون العسل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

السائل البرّاق وهو ينسدل كأجنحة الملائكة على جانبي وجهها. هل تدرك أنها أحياناً وهي تتحدث إليه، تعلق شفتيها بلسانها فتتألقان بإغراء كما لو أنهما مطليتان بأثمن أنواع أحمر الشفاه؟ هل جاءت إلي بيته لتعنيفه بسبب أمور ما كان يملك قدرة لتغييرها؟ ألم تدرك أن كراهيتها الواضحة له ليس لها أي تأثير عليه على الإطلاق، كما لا تؤثر بشيء على التوتر

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الذي يبدو دوما في الجّو بينهما؟ وقال:"

تصبحين على خير، سنيوريتا".

جعلت خشونة صوته هذا التهذيب الرسمي

دون معني:" سأقابلك في الصباح فلا

تنتظريني، رجاءً".

رفعت إليه نظرها وقالت ببرودة:" وما الذي

يجعلني أنتظرك، لويس؟".

5 – والحياة تستمر – 5

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بعد مغادرة لويس، بدت الغرفة والبيت خاليين بشكل غريب، ومع أن صوفي تعلم أن سلفادورا وبييرو ما زالا في المنزل، وتيودور نلئم في الطابق الأعلى، فقد شعرت وكأن أشباح الماضي نهضت لتصبح هاجسها.

تخيلت ميراندا وهي تجلس هنا، تتناول الطعام اللذيذ في غرفة الطعام الرائعة الجمال. لكن الجنوح أكثر من ذلك في الخيال بدا لها صعباً. فالمنزل ممتاز لكنه منعزل. وكانت ميراندا دوماً

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تحب الاختلاط بالناس، وتفضل الحفلات على الانفراد. تساءلت صوفي إن كانت قريبتها قد أزعجت نفسها بالتفكير في طراز حياة لويس قبل أن تتزوجه. شربت كوباً صغيراً من القهوة الثقيلة اللذيذة التي تركتها سلفادورا على المائدة، وعندما لم تستطع أن تكبح تثاؤبها ، صعدت إلي غرفتها واستحمت قبل أن تلجأ إلي سريرها . كان السرير واسعاً مريحاً، لكنها أمضت وقتا طويلاً قبل أن تستغرق في النوم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ولم تجد في نومها هذا ملجأً مريحا، ذلك أن أحلامها لم تمنحها السلام. فطبيعة هذه الأحلام كانت مزعجة، بقدر هوية الرجل الذي أخذ يتسلل إليها بشكل متسلط خطير.

لويس!

بدا وسيماً، قوياً. . . وجهه الأسمر يسخر منها من بعيد ، وعيناه السوداوان يجذبانها كعادتهما على الدوام. مدت يديها إليه لكن الجوّ كان فارغاً، ورجاؤها فيه كان زائفاً

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كالسراب. تناوبت عليها البرودة والسخونة، ولمست جسدها فإذا به ينضح بالعرق. دفعت عنها الأغطية وأخذت تتقلب في الفراش شبه مستيقظة، تتأوه محتجة على ضربات قلبها السريعة، غير قادرة على تخليص نفسها من الصورة الجبارة لذلك

لإسباني المتكبر ذي الوجه الصلب والجسد الحار. عاد وجهه يسبح أمامها، وهذه المرة. .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

. كان بإمكانها أن تصل إليه. وللحظة أمسكها بين ذراعيه وسحقها على صدر. لكنه عاد فهز رأسه نبذاً وازدراء، فدفعها إلي السرير ثم ابتعد عنها. وتأوهت من أعماقها قائلة بصوت ممزق:" لويس".

في تلك اللحظة كان لويس يمّر من أمام غرفتها على رؤوس أصابعه سمع صرخة جفلى صادرة من الغرفة صوفي فجمد مكانه. وقف خارج الباب صامتاً، وما لبث أن سمع صوتاً

www.riwaya.ga مكتبة رواية

آخر. . . لكنه بدا هذه المرة كنواح. ثم سمع اسمه. كانت تصرخ باسمه! اسمه! ياإله السموات! التوي قلبه، وجعلته صرختها متشوقاً بشكل لا يحتمل. وبخفة بالغة، لوى قبضة الباب ثم دفعه. جمد مكانه إلي أن اعتادت عيناه الضوء. وهمس دون وعي: "رباه". لا بد أنها فتحت مصراعي النافذة، لأن القمر كان ينساب عليها من خلال النافذة ساطعاً براقاً ما جعلها تبدو بلون الفضة. بل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أشبه بمخلوقة خرافية لا يكسوها سوى قميص نوم خفيف باهت اللون. أما شعرها فقد انتشر لامعاً فوق الوسادة، بينما امتدت ذراعها بتراخِ إلي ما فوق رأسها. أخذ لويس ينظر إليها مبهوراً . تحركت صوفي متقلبة في السرير، فبدا انعكاس الضوء والظل على جسمها ساحراً أخّاذاً. رآها تعود فتنقلب إلي الجانب الآخر، ثم تقطب جبينها . بدا واضحاً أن نومها متعب، وتساءل عن السبب كل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ذلك الضيق والكرب البالغين اللذين تعاني منهما. يا إله السموات!

روايتى

هل كانت تحلم؟ أم هو الذي يحلم؟ تساءل عما إذا كان عليه أن يوقظها، ولكن هل يمكنه أن يثق بنفسه عند أقترابه منها بهذا الشكل؟ ماذا لو استيقظت فوجدته في غرفتها، مشرفاً على سريرها ، ووجهه متوتر بسبب رؤيتها نائمة في فراشها. . . ؟ ألن تصرخ حينذاك ،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فتقيم الأرض ولا تقعدها؟ تقدم نحو السرير من دون أن يهتم لحماقة تصرفه هذا، وأخذا يحدق فيها، فلاحظ قطرات العرق الضئيلة للغاية التي جعلت بشرتها تتألق وكأنها مضاءة من الداخل. ومرة أخرى شعر بحرارة مشاعره المؤلمة. وقفته هذه والنظر إليها جعلتاه يشعر بعذاب لا يطاق ، فعض شفته مستعداً لمغادرة الغرفة.

وإذا بعيني صوفي تنفتحان على أتساعهما، وتريان ذلك الوجه الوسيم المتكبر، وقد بدت عيناه سوداوان أكثر مما تعهدهما، وهما تنظران إليها. حتى في ضوء القمر استطاعة صوفي أن تري وهج الانفعال يلوّن وجنتيه.

– لويس!

همست بذلك غير مصدقة، وكأنما تحقق حلمها فجأة. فقال بصوت مرتجف:" سمعت صوتك". لكنه أغفل أن يذكر ما كانت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تقوله:" ظننتك. . ربما تعانين من كابوس".
انتصبت جالسة.، وارتفعت يدها إلي عنقها:"
ما. . . هو الوقت الآن؟". ابتلع لويس ريقه:"
الوقت متأخر. . . أو بالأحرى مبكر جداً.
الساعة الآن الرابعة، وما زالت الطيور ساكنة
في أعشاشها. عودي إلي نومك يا عزيزتي.
نامي، نامي. أنت بحاجة إلي النوم". لم تسمع
صوفي صوته بهذه الرقة قط من قبل، ولا بهذه
البهجة. واستندت إلي الوسائد خلفها.

– نامي.

عاد يحثها، فجذبت ملاءة الفراش حتى ذقنها . استحسن لويس ذلك منها وكرهه في الوقت نفسه . وقف ينظر إلي أهدابها تنسدل فوق عينيها بينما هي تتأوه المرة بعد الأخرى. . .

انتظر حتى هدأت أنفاسها، ثم، بألم قد غزا كل خلية من جسده، ابتعد بحزم عن السرير .

أغلق الباب بهدوء كما فتحه. بعد أن اطمأن إلي تيودور ذهب إلي حمامه وأخذ دوشاً عنيفاً

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قوياً من الماء البارد. ثم استلقي في سريره وأخذ يراقب الفجر وهو يزحف من النافذة بعينين فارغتين. استيقظت صوفي برأس مثقل وشعور غريب بالذهول لم يستطع الحمام الطويل أن يمحوه. أخيراً، نزلت إلي الطابق الأسفل. كان الإفطار جاهزاً على الشرفة المزينة بالزهار والتي غمرتها أشعة الشمس، لكن مكان لويس مازال فارغاً. مسحت الخبز بالمربى، ثم نظرة ، بخيبة أمل، إاي سلفادورا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

التي كانت تسكب لها القهوة:" هل تناول لويس فطوره؟". فتردّدت المرأة:" لا، سنيوريتا. دون لويس لم ينزل من غرفته بعد". أتراه تأخر في الخارج؟ وأخذت صوفي تحدق في صحنها من دون أن تري، بينما عادت أجزاء من الحلم مزعج إلي ذاكرته. وضعت سلفادورا أمامها طبقاً من الفاكهة الطازجة وسألتها:" ربما تريدين بعض البيض؟".

روايتى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لا، شكراً. الخبز وحده يكفي. ولكن عندما ذهبة سلفادورا، لم تأكل صوفي سوى القيل من وجبتها . أبعدت عنها الصحن، وجلست تجيل نظراتها في ما يحيط بها من جمال. هذا المكان هو، حقاً، من أجمل الأمكنة التي رأتها في حياتها. بدت السماء زرقاء فوق التصوّر ، ومن بعيد كانت أشجار الليمون تبدو صفراء متدرجة الألوان ومثقلة بالثمار. وقفت ثم سارت تتكئ على الدرابزين وتتفرج على

www.riwaya.ga مكتبة رواية

البساتين المنظمة بشكل رائع. وأدركت أن هذا المكان هادئ ومسالم للغاية.

فكرت في عزلة المزرعة. . . في عزلة ميراندا بصفتها زوجة أجنبية بعيدة عن وطنها. اكتسحتها موجة من الحزن،وهي تدرك غلطة ابنة خالتها في القدوم إلي هنا. ولكن لو أن ميراندا لم تفعل هذا ، لما جاءت صوفي إلي هنا وتنهدت. طبعا ما كان هذا سيحدث، فهي !

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم تكن لتعرف هذا المكان إلا من خلال ميراندا . كما أن الحظ ما كان ليجمعها بلويس دي لاكامارا. عليها ألا تنسي ذلك أبدا. آه ميراندا. . . همست بذلك بعجز، وأخذت دموع الشعور بالذنب تنساب من بين أهدابها. هل كانت ستصدم أو تدهش لو علمت أن صوفي كانت دوماً ترغب بزوجها خفية؟ أخذت صوفي تطلب الصفح من الله بصمت. رآها لويس من داخل البيت، وعلم أنها تبكي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حتى قبل أن يقترب منها إلي حدٍ كاد يري معه لمعان الدموعِ على خديها الناصعين. أجفل، وكأنما هو الذي فجّر دموعها . ربما كان من الأفضل لها أن تبكي فهذه المرة الأولي التي يراها تذرف الدموعِ فيها. اقترب منها برقة: "صوفي؟". سمعت وقع قدميه لكنها لم تلتفت، بل أخذت تجفف دموعها بفوطة السفرة. لا تريده أن يراها بهذا الضعف والضياع، خائفة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

من أن تتكهن هاتان العينان الذكيتان بجزء من ذنبها الخفي.

روايتى

– –لماذا تبكين؟

سألها بعد أن أصبح من القرب منها بحيث أمكنه أن يلمس خصلة من شعرها الحريري . هزت رأسها وهي تبتلع آخر دموعها:" لا شيء. . . أنا بخير الآن". فقال بلطف:" لا، بل أخبريني عن سبب بكائك". لطفه أذاب

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كل دفاعاتها:" كنت . . . كنت فقط. . . ".

وارتجف صوتها :" أفكر في ميراندا. متمنية لو أن الأمر كان. . . ".

– مختلفاً؟ وعندما أومأت، قال بلطف:" آه، صوفي . . . صوفي"., كانت دموعها تنهمر على وجهها. قال لويس يواسيها:" لا بأس". ورفع يده بحركة آلية يملّس بها على رأسها، وأنامله تتمهل على شعرها الحريري:" لا بأس". حتى في منتصف العاصفة، ألهبت لمسته

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حواسها، حرارته، صلابته، رائحته، قدرته على إثارة العواطف، وقدرته على الاستفزاز برجولته الفياضة. وقبل أن تهزمها مشاعرها، أخذت أجراس الإنذار تقرِع في عقلها الباطن. لقد حلمت به. . . فقالت تتهمه:" أنت كنت في غرفتي في منتصف الليل! ". تمني لو أنها لم تذكره بذلك . ذلك أن ذاكرته ابتدأت تسبب له ألماً وضيقاً :" سمعتك تناديني فدخلت لأطمئن عليك". تملكها ارتباك بالغ بعد أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تذكرت الحلم. وتساءلت عما عسي أن تكون قد نادت. بدا لها

من الأسهل والأقل إزعاجاً أن تركز على ما كان يفعله هو هناك، فقطبت جبينها: "كنت لا تزال في الخارج، أليس كذلك؟ كان الوقت متأخراً جداً".

– – نعم، كنت ذاهباً إلي غرفتي عندما سمعتك. روايتى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– خرجت لتري امرأة، تلك المرأة التي اتصلت بك هاتفياً أثناء العشاء، ألخاندرا؟

فقال موافقاً:" نعم، ألخاندرا. هذا صحيح". شعرت أن لهجته تحمل نبرة مختلفة. أتري أحداث الأيام القليلة الماضية عمّقت قدرتها على الملاحظة ؟ علمت بيقين بالغ أن علاقته بهذه المرأة ألخاندرا ليست علاقة صداقة بريئة. سألته وعيناها تخترقان عينيه:" إنها صديقتك. . منذ متي؟". لم ينكر هذا . . . وكيف

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يمكنه ذلك؟ لم يستطع أن يحول نظراته. وساد صمت طويل ثقيل قبل أن يجيب كارهاً:" منذ ستة أشهر". قال هذا بعد أن حدث نفسه بأن ليس لديه ما يجعله يكذب عليها. ولكن رغم هذا دهش لردة فعلها. اندفعت بعنف وشعرها الأشقر يتطاير شاهرة أظافرها قرب وجهه الأسمر الجامد لولا أنه أمسك بمعصميها بقوة، وهو يقول:" أغضبي مني واشتميني قدر

ما يرضيك. ولكن لا تتركي آثاراً على وجهي".

- لمَ؟ ألن يعجب ذلك ألخاندرا؟

- كفي، صوفي.

- هل لك أن تترك يديّ من فضلك؟

- إذا وعدتني بأن تتوقفي عن محاولة خدشي.

- لن أخدشك.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تركها لويس وعندما عادت فشهرت أظافرها في وجهه، عاد يمسكها مرة أخرى:" آه، كنت تكذبين، إذن، أليس كذلك يا عزيزتي؟ لقد وعتني ألا تخدشيني مرة أخرى".حدقت إليه وقلبها يخفق بعنف وألم:" أنت. . . أنت أمضيت الليلة الماضية. . . مباشرة بعد الجنازة بين ذراعي امرأة أخرى؟ كيف أمكنك أن تفعل هذا، لويس؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقال بهدوء :" أنت تطلبين أجوبة ، وما ذنبي أذا كانت لا تعجبك؟"

تمنت لو بإمكانها ان تضربه بشيء ، أن تلكم صدره المغطى بالحرير بقبضتيها :" أنت . . . أنت تركت ابنك نائماً وذهبت لتنام مع امرأة أخرى".

– نعم كان ابني نائماً برعاية سلفادورا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

انت رجل بلا قلب! أما كان بإمكانك أن تتأخر وقتاً كافياً قبل أن تطلق العنان لشهوتك؟

– هل هذا نوع من الاشياء التي اعتدت ان تؤذي بها ميراندا أثناء حياتها؟

– أخفضي صوتك!

فهزت رأسها: " أي نوعِ من الرجال ذلك الذي يزور عشيقته ليلة جنازة زوجته؟"

شعر بحرارة القتال تبرد فيها فتركها. وهذه المرة سارت متعثرة إلى كرسي جلست عليه بعينين متبلدتين. ثم قالت وأنفاسها ترتجف :" رباه، لا عجب في أن ميراندا كانت تعيسة للغاية"

شعر لويس أنه نال الكفاية من اتهاماتها وإدانتها له ، فتقدم إليها ورفعها لتقف على قدميها غارزاً أصابعه في لحمها الطري:" أنت لا تعرفين شيئاً عن زواجي!"

– أنا أعلم ما يكفي!

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– –هل لك أن تهدئي ، صوفي ؟

– أبداً.

روايتى

– رأى شفتيها ترتجفان تمرداً فاندفع شيء في أعماقه، أشبه بحبل من المطاط قد شُدّ حتى عاد ينقطع. و بزائير غاضب جدبها إليه وعانقها بقوة. الغضب ، الإحباط ، الهياج، و الإحساس بالظلم . . . تفجرت كلها في داخلها ما إن شعرت بذراعيه القويتين تضمانها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بشدة، كما حلمت بهما الليلة الماضية في

السرير.

لكن هذه المرة أصبح الحلم حقيقة. ومع أن

الأمر أعجبها، إلا أنها تعلم أن ذلك خطأ.

كله خطأ، فلماذا تتركه يعانقها إذن ؟

كان تنفسها ضعيفاً للغاية، إلا أنه لم يمنع آهة

صغيرة من ؟أن تنطلق من بين شفتيها. لماذا

تشعر وكأنها تذوب وكأنها لم تعرف عناق رجل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

من قبل ؟ في الحقيقة، لم يفعل ذلك رجل آخر. ليس مثله على أي حال!

وشعر لويس بذراعيها تلتفان حول رقبته.

وصرف بأسنانه غاضباً :" يا إلهي . . . يا إلهي . . . "

شعرت صوفي بالحرارة و الشوق يغليان في داخلها. و مع ذلك، هذا هو الرجل الذي خدع ميراندا. . . و الذي زار عشيقته الليلة الماضية فقط. إنه يملك من القوة و الوسامة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ما يجعل أية امرأة يريدها رفيقة منسجمة غير متذمرة، نهمة إلى عناقه و لمساته ، تماماً كما هي الآن.

سلخت نفسها من بين ذراعيه وإذا بها ترى السخرية السوداء الكريهة في عينيه. استعادت أنفاسها بسرعة غريبة ، ما جعلها تنفجر متهمة بعد لحظة:" ذلك يخبرني بكل ما أريد معرفته، وأي نوع من الرجال تزوجت ميراندا .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إنه رجل بإمكانه أن يعانق أية امرأة من دون تمييز . . . فقط لكي يمنعها من الكلام!".

لكن لويس هز رأسه. لم يكن يعانقها من دون تمييز منه. لا ، أبداً . فقد أراد أن يفعل ذلك أثناء الليل و مرات كثيرة قبل ذلك. إحساسه الآن بنعومتها ودفئها و براءتها جعله يشعر و كأنه سينفجر إحباطاً.

و قال بغموض: " لقد استغرق هذا زمناً طويلاً لكي يحصل بيننا، ونحن الاثنان نعلم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هذا. ولهذا لا تزعجي نفسك بإنكار ذلك إمامي، صوفي".

كانت أنفاسها ما تزال مضطربة و عيناها متوهجتين: " نعم ، أتذكر الطريقة التي رحت تنظر بها إلي في المرة الأولى التي رأيتني فيها. . . و كأنك لم تر امرأة في حياتك ".

فقال بنعومة :" ولكن لم تبد لي نظراتك حينها أقل خطراً".

روايتى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لقد نطق لويس بالحقيقة ، ما زاد في شعورها بالخزي:" عرفت حينذاك أي نوعٍ من الرجال تزوجته ميراندا. رجل مستعد لأن يقفز إلى أحضان امرأة ترغب فيه. ويا ليتني أخبرتها بذلك! لكنت فعلت لو أنها لم تكن حاملاً حينذاك! "

– أضنك الآن تضغطين عليّ كثيراً يا صوفي.

قال هذا بصوت ناعم إلى حد الخطر. بقد حاول أن يحترم ذكرى زوجته الراحلة، لكنه لن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يمضي حياته كاذباً، كما لن يدع صوفي تأخذ فكرة زائفة عنه و تلعنه إلى الأبد في عينيها.

إن كرامته لا تقبل بذلك.

– أنت لا تتركين لي خياراً سوى أن أخبرك الحقيقة عن زواجي. عند ذلك فقط سيكون لديك الحق في أن تدينيني.

– طبعاً، الآن يناسبك أن تكذب عليّ!

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ألقي عليها نظرة احتقار باردة كالثلج :"

أتظنينني أحمي نفسي بالكذب ؟ أبداً!"

استغربت صوفي كيف أن الغضب و الاحتقار الارستقراطيين اللذين ظهرا في صوته جعلاها تصدقه.

راح يقول ببطء :" من المؤلم استعادة سرد الذكريات. في البداية، أعجبتني ابنة خالتك كثيراً. كانت حلوة مرحة و على شيء من الجنون".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وتنهد وهو يتساءل كم أن حياة الكثيرين قد تتغير لو أنهم استطاعو معرفة المستقبل:" ا و قد استمتعنا معاً بعلاقة كانت ترضينا معاً".

– أنت تجعل تلك العلاقة تبدو باردة للغاية، لويس!

– لم تكن باردة. . . وإنما كانت كما نتمناها . أنا لست منافقاً، يا صوفي! وأنت تعلمين ذلك. لا أتظاهر بمشاعر لا أملكها.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كانت شمس الصباح الدافئة تنصب عليه بقوة ، لكن لويس كان يشعر بالبرد:" أنا لم أقع في غرام ميراندا قط، وكانت هي تعلم بذلك. ولم أحاول إخفاء الأمر عنها . كانت جميلة جدا ومتألقة، وكنا مسرورين معاً. لكنها كانت أيضاً تعلم أن ليس لعلاقتنا مستقبل". حدقت إليه بقنوط:" لكنك تزوجتها! أي جهنم جعلك تتزوجها من دون حب؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– تزوجتها لأنها كانت حاملاً بابني كما تعلمين. . . وهو طفل لم نخطط لقدومه. . . على الأقل لست أنا الذي خططت لذلك.

قال الجملة الأخيرة ببطء وتثاقل . هزت صوفي رأسها. لن تصدق هذا. لن تصدق :" إذا كنت تحاول أن تخبرني أن ميراندا تعمّدت ذلك، فأنا أعلم أن هذا غير صحيح . فهي لم تكن شديدة اللهفة إلي الأمومة، كما أنها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كانت تستعمل حبوب منع الحمل . لقد أخبرتني ذلك بنفسها!".

– بماذا أخبرك غير ذلك؟

– أخبرتني بأن ذلكحصل صدفة. فقد شعرت بوجع في بطنها، وذلك. . .

روايتى

فقاطعها:" صوفي، أنا لا أريد أن أشوّه ذكري ميراندا، لكن الأمر لم يحصل مصادفة.

صدقيني. كنت أبحث عن بعض الأوراق عندما

وجدت أن حبوب منع الحمل لم تمسّ.

وواجهتها بالأمر، وإذا بها تعترف بأنها توقفت

عن تعاطيها من دون أن تخبرني".

– آه، رباه!

قالت صوفي هذا بصوت خافت. تذكرت

ثرثرة ميراندا بعد العرس مباشرة، حين أخبرت

صوفي أن لويس هو أكثر الرجال الذين

عرفتهم جاذبية وصممت على الحصول عليه

بأي ثمن. أتراها خططت لذلك حقاً؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مستعملة أقدم الحيل المعروفة لجعل الرجل يتزوجها؟ وتكهنت بالجواب وقلبها يغوص. وقالت تدافع عنها:" آه، لقد أمضت ميراندا طفولة فظيعة. لم يهتم بها والداها قط. كانت تعاني من شعور مزمن بعدم الإحساس بالأمان". فقال برفق:" أنا لا ألوم ميراندا لتصرفها، وإنما أخبرك فقط كيف حدث الأمر وتزوجتها لمجرد أنها حملت بابنك؟ لم يعد الرجال يفعلون ذلك يا لويس. إذا لم تكن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تحبها، لا بد أنك كنت تعلم منذ البداية أن الزواج لن ينجح.

– سبق وأخبرتك أنني تزوجتها بسبب إحساسي بالواجب. فالطفل هو ابني بقدر ما كان ابنها ! ولم تكن ميراندا تريد أن يولد الطفل غير شرعي، ولا أنا في الواقع . وهكذا قررنا أن بإمكان الزواج أن ينجح. أرادت أن تنعم بالطمأنينة التي ستكسبها بالزواج مني،

كما أنني سأحصل على الطفل الذي بدأ قلبي يحنّ إليه.

– لقد كان زواج مصلحة إذن؟

– أو. . لنقل زواجاً مناسباً.

فسألته بحرارة:" وهل كنتما صادقين مع بعضكما البعض منذ البداية؟ هل أخبرتها بأنك لن تبقي مخلصاً لها وأنك ستبدأ قريباً بالبحث عن سلوى عند امرأة أخرى؟". ساد صمت آخر قبل أن يجيب:" لا. لم تكن هي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صادقة، ولا أنا! لقد أردت الوفاء بعهودي الزوجية كلياً، يا صوفي. أنا رجل شريف!".

وضاقت عيناه وهو يتذكر:" ولم يكن صعباً عليّ أن أبقي مخلصاً لامرأة مثل ميراندا. فالزواج يمكن أن يؤسس على أكثر من مجرد حب، كما تعلمين. وفي الواقع ، حضارات كثيرة تؤمن بأن الزواج ينجح إذا كان مؤسساً على الثقة والاحترام أكثر منه على الحب. ولكن. . . ".

– ولكن ماذا؟

اختار كلماته بعناية، فهو لايريد أن يؤلمها. ولكن قد لا يكون هناك مناص من الألم إزاء الحقيقة:" لا أضنني قدمت إلي ميراندا نوع الحياة التي تريدها حقاً".

– آه ، لا تقل هذا، لويس . . . كانت تحبك بشغف.

روايتى

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقال بحزم:" لا. كانت تحب ما أقدمه لها .
لكن الحقيقة قصرت عن بلوغ الهدف. كانت تعشق حياة الترف والرجال المتألق المنغمس في الماذات. . . كما كنت أنا حين تعارفنا. أما الحياة في هذا البيت، " لاريوجا" والقيام بدور الزوجة والأم فلم يناسبها على الإطلاق. لقد وجدت أن الحياة الهادئة البطيئة هنا لا تطاق، فأرادت أن تعيش في برشلونة. . . وقد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

اعتادت أ؟ن تسميها " باريس الحرية" لكن ذلك لم يكن ممكناً ".

– كان بمكانكما الوصول إلي حل وسط والذهاب إلي هناك أثناء العطلات الأسبوعية.. .

الأمر كذلك لفترة. حتي أن تيودور ذهب معنا مرة، ولكن. . . كما أخبرتك مرة . . . وجود الطفل يغير كل شيء.

– هذا ليس ضرورياً. . .

فتنهد:" هذا كلام من ليس لديه طفل. لكن الطفل يغير الأمور، يا صوفي، أكثر مما تظنين. عندما يكون لديك طفل، لا يمكنك التأخر في النوادي الليلية، والنوم حتى الظهر".

– هل كانت تفعل ذلك ؟

– نعم ، كانت تفعل ذلك. وفي الفترة الأخيرة كانت تذهب بالطائرة إلي " برشلونة" وحدها تاركة تيودور هنا ، بينما تسهر هي في الحفلات حتى الصباح. فقلت لها إنها إذا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

استمرت على هذا المنوال فسيحدث بيننا ما لا مناص منه، فيعيش كل منا حياة منفصلة.

وهذا ما حصل.

– وهل كان ذلك عندما وجدت لنفسك صديقة؟

فبدا الأسى على وجهه:" لا، وإنما اقترحت أن نعقد جلسات للتشاور . تابعت ميراندا الجلسات الثلاث الأولى قبل أن تخبرني بأنها تقيم علاقة مع رجل آخر . عند ذلك رحت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أبحث لنفسي خارج بيت الزوجية عما حُرمته في بيتي".

سمعت رنين الحقيقة في صوته. وبالرغم من كل شيء هفا قلبها إليه، فهمست:" أواه، لويس. هذا فظيع. لماذا لم تتطلقها؟". فضحك بمرارة:" أتظنين الأمر بتلك السهولة؟ ربما هو سهل في إنكلترا. . . ولكن لم تكن لدي نيّة في أن أدع تيودور يتمزق في معركة الوصاية. أو أن أدعه يعيش، ولو لفترة قصيرة، مع أم لا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تهتم به كما يجب. كثير من الزيجات تستمر على هذا النحو يا صوفي".

روايتي

- ثم ماتت.

وسمّرته بنظرة ثابتة. مدركة أن "الرجل الحديدي" الذي كانت تظنه، لم يكن له وجود. فلويس إنسان كبقية البشر. مع أن هذا الرجل الوسيم الغني الواسع النفوذ لم يمنح

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قلبه لميراندا، لكن لديه ضميراً حياً للغاية وشعوراً بالواجب.

– أظن أنك شعرت بالراحة في التخلص من مثل هذا الزواج الفارغ.

فتصلب فمه:" أتظنينني غولاً أسود القلب بحيث أتمني لأم إبني الموت؟".

– لكن سلوكها لم يكن يعجبك!

فتنهد:" لا لم يكن يعجبني. . . لا أنكر أنني شعرت بشيء من الارتياح لأنه لم يعد هناك

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شقاء. ولكن، صدقيني، شعرت بالذنب لهذا التفكير

للنساء فقط

مال لويس إلي الأمام يخاطب السائق:" قصر سانتو مورو من فضلك".

– نعم، سيدي.

خرجت سيارة الليموزين الفخمة من المطار نحو وسط مدريد، بينما عاد لويس يستقيم في

مقعده. ثم قال بلطف:" أنظري إلي مدريد، صوفي. وتملّي من جمالها بنفسك" . أطاعته صوفي وأخذت تنظر من نافذة السيارة وهي تفكر أن جمال المدينة يبهت أمام روعة الرجل الذي يجلس إلي جانبها . لكم تغيرت علاقتهما منذ أخبرها عن حقيقة زواجه. إنه شيء لا يصدق! لم يعد هناك المزيد من الشجار أو الإتهامات المتبادلة. . . لقد أصبحا مهذبين بشكل حازم مع بعضهما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

البعض. رغم أنهما يتعاملان بشكل حذر، فقد صمما على أن يحافظا على مسافة بينهما قدر الإمكان. وكان لويس على حق.

لقد أدركت صوفي ذلك الآن. إنها حقاً ليست في وضع يسمح لها بانتقاده لاتخاذه صديقة فهذه حياته والخيار يعود إليه،وهي ليست جزءاً من هذه الحياة. كانت تشعر بالألم كلما فكرت بهذا الأمر، لذا حاولت أن تبعده عن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تفكيرها بقدر استطاعتها. وقد سهل عليها ذلك أنه، حسب علمها، لم يعد إلي زيارة ألخاندرا مرة أخرى. . . وهذا يعني لا مزيد من مواعيد الليلية . تكهنت بأنه ينتظر عودتها إلي

نكلترا. ورحلة العودة هذه حاضرة في ذهنها إلي درجة كبيرة، لكن ما زال عليها أن تقرر موعد رحلتها. فهي تعلم أنها لا تستطيع البقاء

www.riwaya.ga مكتبة رواية

في إسبانيا إلي أجل غير محدّد، لكنها لم تستطع استجماع شجاعتها بعد، لتسأله عن مسألة اصطحابها لتيودور معها. كانت تنتظر اللحظة المناسبة، وتلك اللحظة لم تأت بعد. وهي ما زالت خائفة مما يمكن أن يكون عليه جوابه. لا يمكنها أن تنكر أن الأيام السابقة للعرس كانت أياماً ممتعة للغاية. . . تقريباً ممتعة أكثر مما يجب. في الصباح، خرج لويس إلي العمل تاركاً صوفي تساعد سلفادورا في الاهتمام

بتيودور. وقد اكتسبت صوفي الآن ثقة سلفادورا وكذلك مودة تيودور. بدت المرأة المسنة متلهفة إلي أن تكلفها بمزيد من المهمات. ولم يكن لدي صوفي مانع في هذا. وتحت عيني سلفادورا المراقبتين، أخذت تعلم تيودور السباحة. عاد لويس من العمل مبكراً بشكل غير متوقع، فوجدهما يتخبطان في بركة السباحة ببهجة بالغة.

– ما هذا؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فرفعت صوفي بصرها وقد جعل البلل شعرها يلتصق بجمجمتها وراح الماء ينساب من وجهها، بينما بدا تيودور غارقاً في الضحك بقربها.

– أنا أعلّم تيودور السباحة.

– دون إذني؟

– لقد فزت بكأس السباحة على الصدر . فهو آمن تماماً معي!

فأجاب بلطف:" أري ذلك بوضوح. لكن في المستقبل يجب أن تبحثي الأمور معي مسبقاً ، صوفي، هل هذا مفهوم؟ ".

– تماماً.

قالت هذا ثم غطست قليلاً في الماء فقد شعرت فجأة أن بذلة السباحة مكشوفة للغاية. قال لويس بإيجاز:" هذا إذا ما فكرت بأن تأخذيه إلي تسلق الجبال". عند العصر بعد انتهاء القيلولة، أراد لويس أن يعرف

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صوفي على بقية أنحاء المنزل " لاريوجا" والمناطق الريفية المحيطة به قدر ما يسمح به الوقت. جعلتها هذه الجولة تزداد حباً لهذا المكان، فقد شغفت بجو المنطقة المسالم وجمالها الطبيعي اللذين جعلا لندن تبدو بالمقارنة بها غبراء بالغة الازدحام. رأت بنفسها مياه نهر " إبرو" الصافية العميقة، وهو النهر الوحيد في إسبانيا ، وهو يصب في البحر الأبيض المتوسط، وقد غرست ضفتاه بكروم العنب

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وانتشرت حولها صفوف من حدائق الخضار.

بدت جبال " سيرا دي لاريماندا" رائعة لجمال. ابتسم لويس بتسامح تقريباً، عندما عبرت صوفي عن إعجابها بها:" إنها رائعة جداً، وعالية بما يكفي للتزلج على الثلج".

– هل تجيدين التزلج على الثلج ، صوفي؟

– أنا مدمنة على ذلك.

– وأنا أيضاً.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لم تكن ترغب بأن يكتشف الأشياء التي يشتركان بحبها. يا ليته أخبرها بأنه يكره التزحلق على الثلج من كل قلبه! كان قد أوقف السيارة وبذلك استطاع أن ينظرا إلي أخاديد " ريوجا باجا" الرائعة الجمال:" أنظري إلي ذلك المكان . الدينوصورات هناك جعلت الأرض تهتز. . . ".

– هل أنت جاد في ما تقول؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– بكل تأكيد. أو على الأقل تركت آثار أقدامها الغريبة في مستنقعات تعود إلي ما قبل التاريخ ، وقد أصبحت الأن متحجرة وراح يخبرها أن السياح لا زالوا حتى اليوم يأتون من كل أنحاء العالم إلي هذه المنطقة ، لكي يروا البراهين على وجود تلك الحيوانات الضخمة. كانت هذه ناحية من إسبانيا لم تعلم بوجودها. قال ممازحاً :" هل كنت تظنين أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ليس لدينا سوي الثيران؟". فأجابت ببطء: "أظن ذلك".

– يا للعار، يا صوفي، لنقص ثقافتك.

هناك الكثير مما يرغب أن يعلمها إياه عدا التاريخ، لكن ذلك ممنوع عليه. إنها هي نفسها ممنوعة ، ومراوغة، ومجهولة، كما ذكّر نفسه. في عصر أحد الأيام كان الطقس منعشاً يثير البهجة. ذهبا برفقة تيودور إلي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الجبل " أرالارا" السحري، المغطي بأشجار الزان والزعرور البري، في منطقة" نافارا".

فتحت صوفي سلة الطعام البسيطة وأخذت تنظر حولها . بينما حمل لويس تيودور على كتفيه ليمنحه رؤية جيدة لما حوله، راح يحدثه بحكاية " سان ميغيل" الأسطورية. استلقت صوفي إلي الخلف وأخذت تصغي مأخوذة وعندما انتهي تمتمت تقول:" إنها حكاية رائعة. وهذا المكان رائع أيضاً". وأشارت إلي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

المشاهد الخضراء الخصبة حولها. رفع حاجبيه:" هل ظننتها وعرة غير مضيافة؟".

– قليلاً.

وافقته وهي تفكر أنها تصورته هو كذلك أيضاً قبل أن تكتشف أنه لا يتصف بأي من هذه الصفات، بل هو حساس عاطفي، من دون أن ينتقص ذلك من رجولته الفياضة وقوته الفطرية. ومع مرور الوقت،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أصبحت أكثر تفهماً لما جعل ميراندا تصمم على امتلاكه. وعند كل مساء ، بعد العشاء ، كانت صوفي تنسحب إلي غرفتها لتتفحص بريدها الإلكتروني وتقرأ ما يوجهه إليها ليام. كان أولفير يتصل بها من حين إلي آخر، أما ردة فعلها لاتصالاته فكانت وصولها إلي ما يشبه حالة اليأس. تذكرت الحماسةالتي كانت تشعر بها وهي تنتظر مواعيده. لكن تلك الحماسة تبخرت إلي ما يشبه اهتمام

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الأصدقاء، من ناحيتها هي على الأقل .

وكانت من الفطنة بحيث أدركت السبب.

سألها خلال أحد اتصالاته:" متي ستعودين يا

صوفي ، وتتعشين معي؟".

– لا أدري. لم أقرر بعد.

– أنت تعلمين كم أحب الخروج برفقتك.

كان على أن أطلب منك ذلك منذ دهور،

لكنني أظن أن سمعتك منعتني.

فضحكت:" أية سمعة؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– آه أنت تعلمين. . . أنت باردة لا أحد يستطيع الاقتراب منك.

باردة؟ لا أحد يستطيع الاقتراب منها ؟ إنها تراهن براتب شهر أن فكرة لويس عنها مختلفة. مرة واحدة فقط جلست مع لويس في الشرفة. وكان الوقت متأخراً والقمر يبدو في السماء كطبق من الفضة. وقد ارتفعت من حولهما أصوات زيز الحصاد الحادة. راحت صوفي تتحدث عن شركتها. ز . عن آمالها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وأحلامها فيها، وعن قرب تحقيق تلك الأحلام والآمال.

– أنا أهنئك لطموحك هذا !

قال لويس ذلك بلطف بينما خنقت هي آهة. بدت الجلسة رائعة كما بدا هو رجلاً رائعاً. إلا أنه بكل تأكيد، ليس بالرجل الكامل لها. هذا ما عليها أن تذكر نفسها به دوماً.

انسابت السيارة في أحد شوارِع مدريد.

وأدركت صوفي بشيء من الضيق أن الأمر

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يبدو وكأنهما في إجازة. وقالت بسرعة حين أسرعت السيارة في سيرها:" أخبرني الآن عن العروس والعريس".

التفت إليها :" ماذا تريدين أن تعرفي؟".

– آه، الأمور المعتادة. أي شيء!

أي شيء يجعلها تتوقف عن التفكير فيه وفي قوة انجذابها نحوه. يا ليت الطفل يستيقظ ليشغلهما ! لعلّه يحوّل انتباهها عن عينيه اللتين كانتا تراقبانها. لكن تيودور الذي ظل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مستيقظاً لاهياً طوال الرحلة بالطائرة، ينام الآن ملء جفنيه. أجاب لويس :" رامون من أبناء عمي. سوف يتزوج إستريللا التي يعرفها منذ سنوات".

هل يحبها إذن؟

إلتفت إليها ليري التحدي في نظراتها، فضاقت عيناه. كان يعرف ما وراء سؤالها هذا. . . أتري زواج ابن عمه سيكون نسخة عن زواجه هو؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– رامون يحب إستريللا من كل قلبه.

قال هذا بهدوء، ولأول مرة في حياته يشعر بالحسد نحو شخص آخر

– حسناً . . . أظن في ذلك شيئاً ما.

– نعم. وهي متعلقة به إلي حد لا يمكنها معه أن تتصور أن تشاركها فيه امرأة أخرى.

فقالت بجفاء:" وهذا أيضاً شيئاً ما".

فقال ساخراً :" إذن فأنت ذات طبع شاعري، أليس كذلك، صوفي؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أنا أؤمن بأن الزواج يعني التخلي عن كل شخص آخر. أليس هذا ما تقوله العهود الزوجية؟

فقال بهدوء:" هذا ما يقولونه".

وقبل أن يتحول النقاش إلي توتر بينهما، قالت صوفي :" إذن سيكون في العرس الكثير من أقربائك".

نعم، الكثير منهم . والداي وأخواتي وأقارب غيرهم لا يحصون .

– وخلاصة الأرستقراطية الإسبانية كما أظن .

فمال رأسه:" طبعاً". قال ذلك بعدم اهتمام وكأن هذا الأمر طبيعي. بدا بالغ الثقة بنفسه وبمقامه الرفيع في العالم. وربما كان ذلك هو الجزء الرئيسي من جاذبيته. لو كان. . . عاملاً في مزرعة مثلاً، هل تنظر إليه امرأة مرتين وتفقد عقلها لأجله؟ أخذت صوفي تتصور ذلك السيناريو في ذهنها بشكل كامل. لويس يقوم بعمل جسماني شاق، نعم. . . ليس من

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الصعب تخيل ذلك على الإطلاق. تكوينه الجسماني يظهر أن بإمكانه القيام بأعمال كهذه بسهولة. تصورت قطرات ضئيلة من العرق اللامع على بشرة كتفيه العريضتين السمراوين، وتموّج عضلاته وهو يعمل في الحقل. . . وانحبست أنفاسها في حلقها. رجل مثل لويس سترغب به النساء مهما كلن عمله.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ألن يستغربوا إحضارك إبنة خالة زوجتك معك إلي عرس للأسرة؟

– سيتقبلون الأمر من دون تفكير لأنك من أنسباء الأسرة. الإسبانيون يهتمون كثيراً بأقاربهم.

أخذت تنظر من النافذة وهم يمرّون بمباني المدينة الرائعة الفخمة. إنها محظوظة لتمكنها من تنقل عبر إسبانيا بالطائرة بمثل هذه الرفاهية.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لكنها لم تشعر بأنها كذلك ، بل شعرت. . . بالحزن. نعم ، بالحزن. فيا للغباء ! ذلك أنها ستغادر هذا المكان وهذا الرجل عمّا قريب. ومع أن ذلك سيكون الأفضل لها . . . إلا أن جزءاً منها بدا متلهفاً إلي البقاء.

– هل أنت متحمسة لوجودك في مدريد يا صوفي ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سألها لويس برقة وهو يري التوتر المفاجئ في جانب وجهها. وتساءل عن سبب هذا التوتر.

– نوعاً ما.

فقال بجفاء:" آه، أليس هناك ولو شبه مديح؟ لو كانت مدريد امرأة لأخذت تبكي الآن !".

– آه، ليس لدي شيء ضد المدينة بالذات.

– إذن المشكلة في رفقة السفر فقط، أليس كذلك؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ألتفتت تواجهه، فأسرتها عيناه الفاحمتان وشفتاه الممتلئتان.

– لو أن لدي خيار، لا أظنني سأستقر معك ولو لعطلة أسبوعية واحدة.

فتمتم يقول:" كرامتي جرحت إلي حد بالغ".

– هذا يشكل تغييراً بالنسبة إليك. فقال برزانة:" هذا صحيح تماماً".

ضمت صوفي شفتيها بشدة وقد كرهت منه أن يمازحها ساخراً بهذا الشكل ، أو ربما أحبته

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لأنه يذكرها بحميمية هي غير موجودة أصلاً.

إنهما مجرد شخصين جمعتهما الظروف معاً، وهما يحالان جاهدين أن يصلحا وضعهما الشاذ. ولكن، في الوقت الحالي، لم يكن الوضع يبدو شاذاً. فقد بدت حماستها أشبه بحماسة تلميذة مدرسة في أول رحلة لها خارج البلاد ،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لوجودها معه ومع تيودور في مدينة رائعة . لا شك أنهم سينزلون أحد أفخم الفنادق. لو كانت أكثر حكمة لرفضت مرافقته في هذه الرحلة، ولكن ما الفائدة من ذلك؟ سوف تمضي الوقت وهي تتسكع حول الفيلا الرائعة وحدها، بينما تيودور يبعد عنها أميالاً كثيرة . وهي قد حضرت هذه البلاد خصيصاً للتعرف إليه. حدثت نفسها بأنها لن تبقي هنا لمدة غير محدودة. . . فيما يتعلق بالعمل ، كان ليام

www.riwaya.ga مكتبة رواية

والآخرون يقومون بالعمل بشكل جيد، لكن صوفي تلعب في الواقع دوراً حيوياً في الشركة، ولا يمكنها التخلي عن دورها لفترة طويلة بينما هي تسرح وتمرح في إسبانيا. فيما هي غارقة في تأملاتها ، رن جرس الهاتف في حقيبتها ، وسمعت لويس يتأفف بفروغ صبر. وقال ببطء:" ألا تقفلين هاتفك هذا أبداً ؟".

– وما فائدة الهاتف إذا لم يستطع الناس أن يتصلوا بي بواسطته.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وقرأت الاسم المطبوع على الشاشة:" ليام ، مرحباً؟ ماذا حدث؟".

فع لويس حاجبيه وهو يبعد خصلات شعر طفله عن وجنتيه . لقد أخبرته من قبل أن ليام هو شريكها. ولكن شريكها هذا يريد منها أكثر من مجرد ترتيبات العمل، باعتبار المرات الكثيرة التي يتصل بها فيها ! أخذ يفكر متأملاً في ما سيقوله ليام إذا علم بمحاولاتها الجاهدة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لكبح انجذابها إليه؟ هذا الانجذاب الذي يزداد وضوحاً كلما حاولت أن تخفيه. تساءل عما إذا كانت تعرف مبلغ شفافية وجهها المعبّر. فما إن تتلاقي نظراتهما حتى يصبح لون عينيها داكناً ويتلون وجهها بحمرة الشعور بالذنب بشكل فاضح، وكأنها تخاف أن يقرأ أفكارها. ليس أفكارها . . . لا. . ز بل جسدها ، نعم. . . فهذا من السهل قراءته. خبرته مع النساء تجعله يدرك بيقين بأن صوفي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لا يمكنها مقاومته على الإطلاق. وكانت تقول:" لا. أنا في مدريد مع لويس".ورد عليها ليام:" مدريد؟ أتعنين أنك في المطار؟ هل ذلك يعني أنك قادته إلي الوطن؟".

– لا. . . ليس الآن. أنا . . . أنا في الواقع ذاهبة لحضور عرس عائلي.

وساد صمت قصير قال ليام بعده غير مصدق:" معه هو؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ألقت صوفي نظرة على جانب وجه لويس إلا أن وجهه لم يظهر أي تعبير بل بدا كأنه منحوت من الرخام. مع أنه كان يسمع كل كلمة تقولها، أخذت تنظر إليه وهو يسوّي خصلات شعر ابنه بذهن شارد . ثم ردت: "هذا صحيح". وفكرت أن لويس يقوم بدور الأب بشكل لا غبار عليه . إنه أب رائع !

– هل تصغين إليّ صوفي؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سألها ليام ، فاكتشفت، مذعورة ، أنها نسيت أمر المخابرة الهاتفية، تاركة أفكارها تسرح بعيداً. . . وقد اعتادت ، مؤخراً، أن تسرح في اتجاه معروف تماماً.

– كنت أظن أن الغرض من سفرك هو أن تكوني بجانب ابن ابنة خالتك، لا أن تطوفي في البلاد طلباً للمتعة مع رجل يفترض أنك لا تطقينه.

– لكن تيودور معنا.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ليس هذا ما أعنيه. . .

– إسمع ليام . لا يمكنني أن أتحدث الآن.

قالت هذا بلهجة ذات معني، ولاحظت أن فم لويس تصلب بابتسامة صغيرة جافة، فتملكها القلق من أن ينطق ليتم بشيء مهين حقاً عنه فيسمع هذا:" هل لديك شيء خاص تريد أن تحدثني عنه؟".

– ماذا ، آه، نعم. إنه عن تيد جاكوبس. . .

– سأتصل به عبر الإنترنت !

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إنه يريد أن يراك.

– حسناً، هذا غير ممكن الآن !

– لكنه قال. . .

– فقاطعته لأن تيودور بدأ الآن يتحرك:" إسمع يا ليام . أنت قادر تماماً على التعامل مع تيد بنفسك".

– نعم، لكنه يفضلك أنت.

فتنهدت:" أنا أعلم أنه يفضلني، ولكن عليك أن تشرح له ما حدث أنا بحاجة إلي أن أكون

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هنا. الطفل بحاجة إليّ". فسألها ليام ببطء: "وماذا عن لويس ؟ هل هو أيضاً بحاجة إليك؟ يبدو لي أنك التصقت في المكان الذي تركته ابنة خالتك. صوفي، هل هذا هو الأمر؟". لو يعلم فقط أن ميراندا كانت تمضي معظم أوقاتها في الناحية الأخرى من البلاد! كانت صوفي تعلم أن ليام يسألها بسبب اهتمامه بها ، لكنها لا تستطيع أن تشرح له أن لويس لا يريد بديلاً عن زوجته. . . وخصوصاً أن لديه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صديقة تنتظره بفروغ صبر فتنهدت:" إتصل بي يوم الإثنين وسأكون عند ذلك قد عدت من مدريد. إتفقنا؟".

– اتفقنا. سأتحدث إليك الإثنين. استمتعي بوقتك

لم يبدو أنه يعني ذلك. أقفلت الهاتف لترى لويس ينظر إليها . جاء صوته العميق مليئاً بالتسلية:" إذن لا يمكنهم التعامل مع الزبائن من دونك؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– عليّ أن أشعر بالغرور، لأنهم يفتقدونني عندما أغيب.

– لكنك لا تشعرين بالغرور؟

ألقت نظرة على أهداب الطفل التي بدأت تتحرك. ما أغرب أن تجد نفسك وقد غيرت رأيك بالنسبة إلي أمور معينة !كانت صوفي عرّابة لطفلتين وهي تحبهما للغاية. لكنها لم تكن قط واحدة من أولئك النساء اللواتي يضعن إنجاب طفل في قمة رغباتهن. ومع ذلك

www.riwaya.ga مكتبة رواية

، فإن الوقت التي تمضيه مع تيودور قد فتح عينيها تماماً. فقد اكتشفت أن فوز بابتسامة من طفل صغير لا يقل أهمية عن الفوز بصفقة عمل كبرى. أو ربما تيودور بالتحديد له ذلك التأثير الكبير عليها. وابتسمت حالمة إزاء رأسه النائم، قبل أن تتذكر أن لويس كان يتحدث إليها. رفعت بصرها إليه وإذا به يراقبها. فقالت عائدة بأفكارها إلي الحاضر: "لست مغرورة بشكل خاص. لا. وإنما هذا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يجعلني أتساءل عما إذا كان يجدر بي انتداب شخص مكاني يمكنه يأدية العمل بشكل فعّال، إذا لم يستطيعوا العمل من دوني لمدة أسبوعين. أو ربما علينا أن نفكر بجد في موظف جديد. لقد خطر ببالي أن عدد الموظفين لا يتلاءم مع توسّع الشركة". خلال لأمسيات التي تمضيها في غرفتها كان لويس يسمع صوت الكومبيوتر، فقال لها:" أنت مجتهدة في العمل".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– حسناً، وكذلك أنت.

فقال بفتور:" لم أعمل كثيراً مؤخراً".

– لأنك مشغول جداً بطفلك.

– نعم.

ونظر إلي ابنه لاوياً شفتيه، ليس فقط مع طفله، لكن مع صوفي أيضاً. النزهة على الجبال لم تكن مدرجة في برنامجه. حاول أن يقنع نفسه بأن هذه النزهات القصيرة هي لأجل مصلحة ابنه إلاّ أن ذلك لم يكن

صحيحاً تماماً، فقد كان يشعر بالمتعة وهو يريها بلاده. أما صوفي ، فقد بدت متحمسة جداً لما كان يريها إياه. وقالت مازحة:" لكن كروم العنب لن تصل إلي نموها التام من دونك. أليس كذلك؟". فضحك:" لم يحدث ذلك قط من قبل".

– ليس هناك من لا يمكن الاستغناء عنه . حتى أنت، لويس.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقال متأملاً:" وكذلك أنت . أليس كذلك؟".

عندئذ استيقظ الطفل ودس إصبعاً في فم أبيه ثم غرق في الضحك. . . وكأنه يريد من أبيه أن يضحك أكثر. وما لبثت السيارة أن وقفت أمام مبني فسيح. فتح لهما الباب رجل يرتدي ثياباً رسمية، فنظرة صوفي إلي الواجهة الرائعة، ثم قالت بفتور:" يا الله ! هل سنقيم هنا؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ليس نحن فقط. معظم أفراد العائلة حجزوا غرفاً هنا. هل يعجبك المكان؟

يعجبها ؟ وكيف لا يعجبها؟

– إنه جميل.

– انتظري فقط حتى تريه من الداخل.

في الداخل كانت الجدران مغطاة بالمرايا واللوحات الفنية، وقد انتشرت في الأنحاء أشجار نخيل ضخمة موضوعة في أوانٍ كبيرة، أما السقف فكان من الحجر المعقود الذي بدا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كأنه يمتد إلي ما لا نهاية، كما أن الجوّ كان مبرداً بمراوح قديمة الطراز. لم تستطع صوفي مقاومة الرهبة التي تملكتها في هذا المكان المترف . وكان تيودور يتلوّى بين ذراعي أبيه، بينما كان لويس يتحدث بسرعة وبلغة إسبانية غير مفهومة إلي موظفة الاستعلامات، وقد وضع معدات الطفل عند قدميه. فهمست صوفي وهي تمدّ له ذراعيها:

– تعال يا تيودور. تعال إلي صوفي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وامتلأ قلبها سروراً عندما راح الطفل يتلوى بين ذراعيها ثم يلتصق بصدرها. دفنت أنفها في شعره الحلو الرائحة واحتضنته بشدة، فأخذ الصبي يقهقه ضاحكاً وهو يعبث بشعرها.

وكان لويس يراقب المشهد الصغير بأكمله ، وضاقت عيناه. لقد تأثر بالرغم عنه بطريقة معاملتها لابنه. بدت ردة فعلها نحوه غير زائفة. استطاع أن يلاحظ هذا بسهولة، ولو كانت كذلك لأحس الطفل بها بغريزته.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فالأطفال يشعرون دوماً إذا ما كان العطف صادقاً. وحيره هذا. لم يكن أمراً اعتيادياً بالنسبة إلي امرأة مثل استقلاليتها، أن تنفق كل هذا الوقت والمشاعر والالتزام على طفل لن يكون أكثر من عارض سطحي في حياتها. لماذا إذن؟ هل مجرد حب والوفاء لأمه، قريبتها ، هو الذي جعلها تتصرف بهذه الطريقة؟ أم أن لها دوافع أخرى؟ دافع خفي سيتضح مع الأيام؟ لكن الطفل ينتظره بسرور، فأومأ

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لويس . الوقت ليس مناسباً للتساؤلات، التي قد لا تحدث أبداً. قال برقة:" تعالي صوفي، سيأخذوننا إلي غرفنا". وكانت الغرف أشبه بأجنحة متفرقة.

هل كل هذا لي فقط؟

سألت صوفي وهي تقف على أرض غرفة بحجم قاعة الرقص، وهي ما زالت تحمل تيودور بين ذراعيها، مقاومة دافعاً يدفعها إلي أن ترقص معه في أنحاء المكان.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– تبدين أشبه ببنت صغيرة.

تمتم بذلك وهو يري سرورها البالغ وهي تنظر حولها.

– أنا أشعر فعلاً وكأنني بنت صغيرة أفلتت في دكان الحلوى.

تصورها طفلة بضفيرتين. وكتم آهة عندما انحنت لتضع تيودور على السجادة. وعلى الفور أخذا الصبي يتحرك ببطء. فسألت لويس:" أين سينام؟".

– طلبت منه أن يضعوا سرير طفل في غرفتي هناك.

وأشار إلي باب في نهاية الغرفة. فابتلعت ريقها:" الغرفتان متصلتان؟".

– أنه جناح عائلي . يوجد عادة باب بين الغرف.

وتألقت عيناه بسخرية متحدية:" وهل يزعجك هذا؟ ". أنه يزعجها بكل تأكيد.

لويس في السرير على بعد ياردات منها . على

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الأقل، هناك في المزرعة، كان يفصل بينهما ممر طويل . كما أنها كانت تشعر بالطمأنينة لمعرفتها بأنسلفادورا وبييرو في نفس المنزل ، كأنهما ومن دون وعي يمثلان دور الحارسين لها. قابلت عينيه بنظرات تماثل نظراته برودة وسخرية:" لا، على الإطلاق ! ولِمَ أشعر بالانزعاج؟". ارتسمت على

www.riwaya.ga مكتبة رواية

جانبي فمه ابتسامة صغيرة ز إنها تكذب ، وهما الاثنان يعلمان ذلك. كيف ستتجاوب معه لو تحداها؟ لكن تيودور أنطلق في أنحاء الغرفة بسرعة، واستطاعت صوفي أن تحدد عدة أشياء ينبغي أن ترفع من بين يديه المحبتين للاستطلاع. حمل سلة القمامة في الوقت الذي أبعدت صوفي فيه علبة حلوى وضعت للترحيب بهم ، قائلة وهي تضعها على سطح الخزانة:" أظننا سنفقد الحلوى يا. . . لويس".

– هِمم. . . ؟

كان ينظر إلي جسدها اللدن وحركاتها الرشيقة وهي تتطاول لكي تضع علبة الحلوى على الخزانة. وكانت قد كومت شعرها فوق رأسها وثبتته بالدبابيس، تاركة عنقها الطويل عارياً لا تغطيه سوى بضع خصلات حريرية شاردة.

وتذكر لويس تلك الليلة التي دخل فيها إلي غرفتها ، وكيف كان شعرها منسدلاً على صدرها، كثاً عسلي اللون. استدارت حول

www.riwaya.ga مكتبة رواية

نفسها ، وغضت أنفها وهي تحمل تيودور: "أظن أن تيودور بحاجة إلي تغيير حفاظه. هل تريدني أن أفعل هذا؟". فقطب حاجبيه: "أتظنينني لا أحسن ذلك؟" .

– لا أدري. هل يمكنك القيام بهذا؟ لاحظت أنك عادة تترك ذلك العمل لسلفادورا.

– لأنها تبدو سعيدة بالقيام بذلك.

– ربما لا يمكنها أن تتصور مشهد دون لويس دي لاكامارا يقوم بعمل كهذا ، هذا العمل مختص بالنساء

أضافت الجملة الأخيرة ساخرة.

– ولكن هل تظنين أنه من عمل الرجال؟

– طبعاً أظن ذلك. يجب أن يشترك الأبوان في العناية بطفلهما. لا يمكنك أن تترك الأشياء الأقل بهجة للأم والأفضل لنفسك. وإلا كيف سيكون ارتباطك به سهلاً؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وابتسمت له، مستمتعة بابتسامة الحيرة النادرة التي جعلته يبدو نائياً مرتبكاً :" أتحب أن أريك كيف تفعل ذلك؟". تبددت الحيرة وحلّت مكانها نظرة غضب:" أنا لست بحاجة إلي دروس منك، صوفي".

– هل فعلت ذلك من قبل؟

لا، إنه لم يفعل ذلك من قبل ، لكنه لا يعتقد أن تغيير الحفاظ صعب ولكن يبدو أن الأمر لم يكن بتلك السهولة التي تصورها . في هذا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الوقت دخات والدة لويس فوجدت ابنها راكعاً على الأرض ، يحاول أن يضع حفاظاً لتيودور فيما الطفل يتململ. أما صوفي ، التي جاهدت حتى الآن في كبت

ضحكتها ، فقد خسرت المعركة أخيراً وأخذت تضحك وتضحك:" أنت لا فائدة منك". فصرخ:" لأجل الله !".

– لويس ؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فالتفت ليري أمه بالباب وقد بانت التسلية على ملامحها الأنيقة.

– مساء الخير، أمي.

جثمت صوفي إلي جانبه:" دعني أفعل هذا ، واذهب أنت لترحب بأمك". فنظر إليها بإحباط:" ستعلمينني فيما بعد". ثم وقف وعانق أمه وقبلها على وجنتيها. سألته أمه بالإسبانية:" ألم تحضر سلفادورا معك؟".فهز رأسه:" إنها تكبر في السن. كما أن صوفي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قالت إنه يفيدني أن أتحمل مسؤولية ابني وحدي".

- آه، هل قالت ذلك؟

سألته أمه ذلك وهي تنظر إليه متسائلة. وفي هذه اللحظة كانت صوفي قد حملت تيودور وقد بدا راضياً قانعاً وقدمته إلي جدته التي أخذته على الفور وراحت تمطره بالقبلات على رأسه.

- يا صغيري الجميل الرائع!

كانت تهتف بذلك بينما تيودور يعبث بعقد اللآلئ الذي تضعه حول عنقها

– إنه جميل أليس كذلك؟

قال لويس هذا باسماً ثم ابتدا يتكلم بالإنكليزية:" أمي، أريد أن آخذ صوفي لتشتري ثوباً تلبسه في العرس. . . ".

فابتسمت الأم:" وتريد أن تترك تيودور معي أليس كذلك؟".

– هل لديك مانع؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– مانع؟ اتركه معي لمدة أسبوع إذا شئت.

وحتى أكثر!

فنظر إلي ساعته:" من الأفضل أن نذهب الآن إذا شئنا أن نكسب الوقت". في الخارج أوقف سيارة أجرة ، وأمر السائق أن يذهب بهما إلي منطقة " سلمنكا" حيث تقع أفضل متاجر مدينة .

– أتظن أن لدى أمك مانعاً في أن أكون هنا؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سألته صوفي عندما انفتح باب المتجر:" أنت قلت أنها لا تمانع".

- لا. لا أظن ذلك . ولماذا تمانع؟

- خيل لي أنها نظرت إلي بشيء من الاستغراب.

اشتبه لويس في أن تلك النظرة لها علاقة بما قاله عن نصيحة صوفي له بشأن ابنه.

- أظن أن السبب هو رؤيتها لابنها الأكبر راكعاً على ركبتيه يغير حفاظ ابنه. تعالي الآن

يا صوفي وأخبري البائعة عما تردينه. بدت الملابس

هذا مصروف غير متوقع. أنت لم تخططي لشراء ثوب غالي الثمن كهذا يا صوفي. هيا، دعيني أشتريه لك.

– لا، بكل تأكيد لا.

فلمعت عيناه:" لا تخافي، أستطيع دفع الثمنه".

– أعلم أن بإمكانك ذلك، وكذلك أنا.

وبكل تهذيب سحبت بطاقة الحساب العائدة إليه ووضعت بدلاً منها بطاقتها. مضت لحظة مشحونة للغاية قبل أن تقول بنعومة:" أنت عنيده جداً يا عزيزتي".

– وأنت أيضاً ! ألم يحدث قط أن رفضت امرأة هدية منك؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فسألها جاداً:" ولكن لماذا ترفض، طالما أكون أنا مسروراً بمنح الهدية؟". حدّقت صوفي إليه . ألم يصادف قط امرأة تعتبر نفسها مساوية له؟

– هناك شيء اسمه الكبرياء ، لويس.

قالت هذا بهدوء.

– كبرياء !

منحها شبه ابتسامة ساخرة. هذه الكلمة لا يمكن أن يقرنها بالنساء اللواتي عرفهن في حياته. . . النساء يرغبن به. . . دوماً كن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يرغبن به. وهكذا فالهدية منه تمثل لهن رمزاً لأهميتهن، فلماذا تنظر صوفي ميلز يمثل هذا الاحتقار والترفع؟ عندما ابتعدت البائعة لتلف الثوب ، سأل صوفي:" لماذا ترفضينه؟".

– لأنه يجعلني أشعر وكأنني عالة على الرجل درك بأن هذا ليس الوقت المناسب ليقول لها أن المرأة تعتبر" عالة" على الرجل عندما تمنحه ما يريده مقابل هداياه. فمع تلك النظرة المتمردة على وجهها، لا يمكنه الوثوق بأنها لن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تمنحه صفعة رنانة وسط المتجر. هزّ كتفيه بفروغ صبر:" حسناً جداً. يمكنك أن تدفعي ثمنه أن شئت". فردت عليه متهكمة :" شكراً جزيلاً. سأفعل ذلك بالتأكيد". تلهف إلي أن يقهرها بطريقة تجعلها تقبل هديته وهي تتنهد. . . أما أن ترفض هديته بهذا الشكل أمام البائعة! إنها تتحدث عن الكبرياء . . . ألم تر أنها جرحت كبرياءه ورجولته برفضها هذا؟

جلس في السيارة في رحلة العودة إلي الفندق

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بهدوء إلا أنه كان يغلي غضباً. تنهدت صوفي وهي تنظر إلي جانب وجهه الحاقد:" إذا كنت ستصبح في مزاج سيء بقية النهار. . . ".

فسألها بمرح:" ولماذا أكون في مزاج سيء بقية النهار؟ "

– لأنك لم تحصل على ما تريد ! ظننت أننا لن نقوم بإدانة بعضنا البعض أثناء هذه الرحلة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

على الإطلاق، وهكذا عليك أن تتقبل استقلاليتي بروح مرحة، أليس كذلك ، لويس؟

حدّق في عينيها فرأى لمعان التسلية فيهما ، فتنهد:" لا بأس، يا صوفي العنيدة. لقد انتهي الموضوع وأصبح منسياً. والآن عودي إلي جلستك واستمتعي بمناظر المدينة".

....

.... هذا مصروف غير متوقع.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أنت لم تخططي لشراء ثوب غالي الثمن كهذا يا صوفي. هيا، دعيني أشتريه لك.

– لا، بكل تأكيد لا.

فلمعت عيناه:" لا تخافي، أستطيع دفع الثمنه".

– أعلم أن بإمكانك ذلك، وكذلك أنا.

وبكل تهذيب سحبت بطاقة الحساب العائدة إليه ووضعت بدلاً منها بطاقتها. مضت لحظة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مشحونة للغاية قبل أن تقول بنعومة:" أنت عنيده جداً يا عزيزتي".

– وأنت أيضاً ! ألم يحدث قط أن رفضت امرأة هدية منك؟

فسألها جاداً:" ولكن لماذا ترفض، طالما أكون أنا مسروراً بمنح الهدية؟". حدّقت صوفي إليه . ألم يصادف قط امرأة تعتبر نفسها مساوية له؟

– هناك شيء اسمه الكبرياء ، لويس.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قالت هذا بهدوء.

– كبرياء !

منحها شبه ابتسامة ساخرة. هذه الكلمة لا يمكن أن يقرنها بالنساء اللواتي عرفهن في حياته. . . النساء يرغبن به. . . دوماً كن يرغبن به. وهكذا فالهدية منه تمثل لهن رمزاً لأهميتهن، فلماذا تنظر صوفي ميلز يمثل هذا الاحتقار والترفع؟ عندما ابتعدت البائعة لتلف الثوب ، سأل صوفي:" لماذا ترفضينه؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لأنه يجعلني أشعر وكأنني عالة على الرجل

درك بأن هذا ليس الوقت المناسب ليقول لها

أن المرأة تعتبر" عالة" على الرجل عندما تمنحه

ما يريده مقابل هداياه. فمع تلك النظرة

المتمردة على وجهها، لا يمكنه الوثوق بأنها لن

تمنحه صفعة رنانة وسط المتجر. هزّ كتفيه

بفروغ صبر:" حسناً جداً. يمكنك أن تدفعي

ثمنه أن شئت". فردت عليه متهكمة :" شكراً

جزيلاً. سأفعل ذلك بالتأكيد". تلهف إلي أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يقهرها بطريقة تجعلها تقبل هديته وهي تتنهد. . . أما أن ترفض هديته بهذا الشكل أمام البائعة! إنها تتحدث عن الكبرياء . . . ألم تر أنها جرحت كبرياءه ورجولته برفضها هذا؟

جلس في السيارة في رحلة العودة إلي الفندق بهدوء إلا أنه كان يغلي غضباً. تنهدت صوفي وهي تنظر إلي جانب وجهه الحاقد:" إذا كنت ستصبح في مزاج سيء بقية النهار. . . ".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فسألها بمرح:" ولماذا أكون في مزاج سيء بقية النهار؟ "

– لأنك لم تحصل على ما تريد ! ظننت أننا لن نقوم بإدانة بعضنا البعض أثناء هذه الرحلة على الإطلاق، وهكذا عليك أن تتقبل استقلاليتي بروح مرحة، أليس كذلك ، لويس؟

حدّق في عينيها فرأى لمعان التسلية فيهما ، فتنهد:" لا بأس، يا صوفي العنيدة. لقد انتهي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الموضوع وأصبح منسياً. والآن عودي إلي جلستك واستمتعي بمناظر المدينة".

....

....

لم يتبق لصوفي سوى وقت قصير لكي تغتسل وترتدي ثيابها استعداداً لحضور العرس. كانت قد فرغت لتوها من وضع أحمر الشفاه عندما قرع لويس الباب:" صوفي، هل أنت جاهزة؟". ألقت نظرة أخيرة على المرآة، ثم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أومأت. ستنجح! عليها أن تنجح: " نعم . أدخل". دخل لويس حاملاً تيودور. جمد في مكانه ما أن ألقي عليها النظرة الأولى. وضاقت عيناه، فبدا كقط الأدغال حين يعثر على دليل يشير إلي أن عدواً قد غزا وكره. ابتلعت صوفي ريقها ورفع أصابعها إلي وجهها تتلمسه. أتراها نسيت وضع زينة معينة؟ الكحل مثلاً؟ أم ربما لطخت وجنتيها بالماسكرا؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وسألته :" هل من خطأ؟". خطأ؟ يا الله ! ما هذا الجمال الذي تبدو عليه؟ شعر لويس بنبض يخفق بشدة في صدغه. وهز رأسه:" أنت تضعين زينة على وجهك".

– طبعاً، أنا أضع زينة على وجهي. فأنا سأجلس إلي جانب جميلات الطبقة الأستقراطية في إسبانيا، وعليّ أن أبدو في أحسن مظهر.

– لكنك لا تعبئين عادة بذلك.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أعلم ذلك. لكن في المناسبات فقط . أري من الجنون أن أمضي دهوراً في طلاء وجهي ، لكي أعود فأغسله بعد ذلك.

رقة ملامحها وعيناها الزرقاوان الواسعتان تدل أنها ، خلافاً لأكثر النساء، يمكنها أن تبدو جميلة مع وجه نظيف بدون زينة. أما مع زينة . . . وتنفس بشوق. . . . إنها تبدو رائعة!

بدت عيناها واسعتين وقد أبرز الكحل شكلهما الدائري. بينما جعلت حمرة الشفاه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

اللامعة فمها مكوراً مثيراً. وكانت بشرتها بلون ذهبي خفيف وتبدو ناعمة كالحرير. أما الثوب. . . لم يستطع لويس أن يبعد عينيه عنه. . . كان القماش الحريري ملتصقاً بجسمها مبرزاً رشاقتها . لو أنها ليست صوفي، لربما أقترح عليها بنعومة أن تسدل شعرها إلي الأسفل، لكن ذلك ليس بمقدوره على الإطلاق؟

– تبدين رائعة الجمال إلي حد بالغ، عزيزتي.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كذلك بدا لويس. إذا كانت كلمة "جميل" تنطبق على مثل هذا الرجل الطافح بالرجولة ، فهو يبدو بالغ الجمال. لأن الجمال يمكن أن يكون نحافة ونحولاً وضموراً وصلابة ، بقدر ما يكون نعومة وزينة . لم تستطع أن تمنع نظراتها من تملّي من مظهره ، فالسترة الرسمية السوداء تبرز جسمه الضامر، كما تلفت النظر إلي طول ساقيه وضيق وركيه. لا بد أنه حلق ذقنه لتوّه لأنها ، وللمرة الأولى ، لم تر ذلك الظل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الخفيف الأسود على خديه. وكان شعره الكث الأسود يلمع بقطرات ضئيلة من الماء بقيت بعد الدوش. بذلت صوفي جهداً خارقاً لتتمكن من تحويل نظراتها عنه إلي تيودور الذي كان يتألق ببذلة بحار بيضاء كالثلج مزينة بشرائط كحلية اللون.

وهمست:" وأنت تبدو رائعاً للغاية ، يا تيودور. يالك من صبي جميل !". أخذ تيودور يهدل كالحمام. وفجأة بدت الغرفة الفسيحة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صغيرة للغاية ، وتمني لويس لو أنهما وحدهما ليأخذها بين ذراعيه. وابتلع ريقه:" هيا ، فلنخرج". كانت السيارة في انتظارهم فأقلتهم إلي الكنيسة أثرية مليئة بالأزهار. شعرت صوفي بالأعين الفضولية تتفحصهم وهم يتقدمون إلي الصفوف الأمامية لكي

يجلسوا مع بقية أفراد الأسرة. هل خيّل إليها أنها تسمع، أم أنها سمعت فعلاً أصواتاً تهمس

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بالإسبانية عندما دخلوا الكنيسة؟ أتراهم يتسائلون عم تكون هذه المرأة الشقراء التي ترافق الدون وابنه الطفل؟ كان الاحتفال شاعرياً، هكذا يفترض أن تكون الأعراس ، ما عدا عرس ميراندا، كما أدركت صوفي فجأة. زواج مدني لا لون له. فقد تمت مراسم زواجها ذات يوم صيفي حار، في مكتب، وقد بدت ميراندا يومها شاحبة متلهفة لأنها كانت في الفترة الأولى من حملها. ومع ذلك بدت في

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صوتها نبرة انتصار واضحة وهي تقسم اليمين.
أما لويس فلم تبد عليه الحماسة مع أنه تصرف بشكل لائق. أما هنا ! فقد ظهر في صوت العروس رجفة مؤثرة وهي تلفظ عهودها الزوجية، كما ظهرت في عيني عريسها نظرة حب خطفت أنفاس صوفي وأشعرتها بنوعٍ من الحسد. أدركت أن هذا ما تريده هي أيضاً، عندما تتزوج. تريد رجلاً يحبها مثل هذا الحب العنيف، إنها تريد حباً حقيقياً ودائماً،

ذلك نوعِ من الحب الذي يزعزِع الجبال.

فكرت أن الرجل الذي يقف إلي جانبها لن يمنحها ذلك أبداً، ولو بعد مليون سنة. نظرة إلي تيودور الذي بدا هادئاً بشكل مدهش يمتص إبهامه بينما المنشدون يغنون بعض الألحان الكنيسة . إنه يعتاد عليها يوماً بعد يوم، نعم . حتى إنه بدأ يحبها. ولكن كم سيلزمها من الوقت لتجعل لويس يثق بها إلي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حد يسمح له أن يسلمها الطفل لتأخذه إلي إنكلترا؟عليها أن

تتحدث معه في هذا الشأن، وقريباً جداً، كما قررت وهي تقف لنيل المباركة النهائية.

أقيمت حفلة الاستقبال الراقصة في قاعة الرقص في الفندق. وكانت أكثر المناسبات التي حضرتها صوفي في حياتها ، جوداً وإسرافاً.

وقد زينت القاعة بالزنابق البيضاء . كان تيودور يتنقل من قريب إلي آخر بينما راح

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لويس يقدم صوفي إلي عماته وخالاته وأبنا عمومته وأخواله. بدا الفضول واضحاً في نظراتهم، لكنهم لم يلقوا أية أسئلة بالنسبة إلي وجودها. فلا يعبرون تساؤلاتهم بشأن الآخرين. لكن ، بمَ كان يفكر لويس فيما الجميلات يتناوبن على لفت انتباهه؟ لم يبد عليه الحماسة وإنما بدا على شيء مكن التساهل عندما أخذت النساء ، الواحدة تلو الأخرى، يحاولن الاستئثار به. ثم صدحت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الموسيقى تدعو الناس إلي حلبة الرقص ، العريس والعروس ، والديهما، أبناء العمومة والأخوال. . . وراح عم متوسط في السن يدور بتيودور في أنحاء القاعة. لاحظت صوفي أن إسبانية شابة بالغة الرقة راحت تنظر إلي لويس بخجل وشوق. أومأ برأسه بشكل تلقائي تقريباً ، وهو يأخذها بين ذراعيه. وتمتمت إحدى عمات لويس بالإنكليزية وهما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يجلسوا مع بقية أفراد الأسرة. هل خيّل إليها أنها تسمع، أم أنها سمعت فعلاً أصواتاً تهمس بالإسبانية عندما دخلوا الكنيسة؟ أتراهم يتسائلون عم تكون هذه المرأة الشقراء التي ترافق الدون وابنه الطفل؟ كان الاحتفال شاعرياً، هكذا يفترض أن تكون الأعراس ، ما عدا عرس ميراندا، كما أدركت صوفي فجأة. زواج مدني لا لون له. فقد تمت مراسم زواجها ذات يوم صيفي حار، في مكتب، وقد بدت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ميراندا يومها شاحبة متلهفة لأنها كانت في الفترة الأولى من حملها. ومع ذلك بدت في صوتها نبرة انتصار واضحة وهي تقسم اليمين. أما لويس فلم تبد عليه الحماسة مع أنه تصرف بشكل لائق. أما هنا ! فقد ظهر في صوت العروس رجفة مؤثرة وهي تلفظ عهودها الزوجية، كما ظهرت في عيني عريسها نظرة حب خطفت أنفاس صوفي وأشعرتها بنوع من الحسد. أدركت أن هذا ما تريده هي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أيضاً، عندما تتزوج. تريد رجلاً يحبها مثل هذا الحب العنيف، إنها تريد حباً حقيقياً ودائناً، ذلك نوع من الحب الذي يزعزع الجبال.

فكرت أن الرجل الذي يقف إلي جانبها لن يمنحها ذلك أبداً، ولو بعد مليون سنة. نظرة إلي تيودور الذي بدا هادئاً بشكل مدهش يمتص إبهامه بينما المنشدون يغنون بعض الأحان الكنيسة . إنه يعتاد عليها يوماً بعد يوم، نعم . حتى إنه بدأ يحبها. ولكن كم

سيلزمها من الوقت لتجعل لويس يثق بها إلي

حد يسمح له أن يسلمها الطفل لتأخذه إلي

إنكلترا؟عليها أن

تتحدث معه في هذا الشأن، وقريباً جداً، كما

قررت وهي تقف لنيل المباركة النهائية.

أقيمت حفلة الاستقبال الراقصة في قاعة

الرقص في الفندق. وكانت أكثر المناسبات

التي حضرتها صوفي في حياتها ، جوداً وإسرافاً.

وقد زينت القاعة بالزنابق البيضاء . كان

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تيودور يتنقل من قريب إلي آخر بينما راح لويس يقدم صوفي إلي عماته وخالاته وأبنا عمومته وأخواله. بدا الفضول واضحاً في نظراتهم، لكنهم لم يلقوا أية أسئلة بالنسبة إلي وجودها. فلا يعبرون تساؤلاتهم بشأن الآخرين. لكن ، بمَ كان يفكر لويس فيما الجميلات يتناوبن على لفت انتباهه؟ لم يبد عليه الحماسة وإنما بدا على شيء مكن التساهل عندما أخذت النساء ، الواحدة تلو

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الأخرى، يحاولن الاستئثار به. ثم صدحت الموسيقى تدعو الناس إلي حلبة الرقص ، العريس والعروس ، والديهما، أبناء العمومة والأخوال. . . وراح عم متوسط في السن يدور بتيودور في أنحاء القاعة. لاحظت صوفي أن إسبانية شابة بالغة الرقة راحت تنظر إلي لويس بخجل وشوق. أومأ برأسه بشكل تلقائي تقريباً ، وهو يأخذها بين ذراعيه. وتمتمت إحدى عمات لويس بالإنكليزية وهما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مران من أمامها راقصين:" يا لهما من راقصين جميلين !". تمتمت صوفي موافقة:" إنهما كذلك، حقاً !". لكن قلبها راح يخفق بسرعة ولعنت وخزة الغيرة التي شعرت بها. إنه ليس رجلها لكي تغار عليه. هزت رأسها لضعفها هذا ، ثم سارت تحضر لنفسها كأس ماء. تمنت لو تكون زهرة على جدار على أن تقف هناك لتراقب لويس وهو يرقص برشاقة لا مبالية مع مجموعة من النساء يتلهفن على

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الرقص بين ذراعيه . جلست على إحدى الكراسي خلف نخلة عريضة موضوعة في إناء. وما هي إلا دقائق حتى سمعت صوته العميق يخترق أفكارها ، فشعرت بنفسها ترتجف:" صوفي؟". رفعت بصرها إليه فأدارت رأسها نظرته المتأملة. ثم سألها برقة:" لماذا تختبئين هنا ؟". فقالت بابتسامة مرغمة:" لم أختبئ بشكل جيد، لأنك عثرت عليّ بسهولة". جلس على كرسي بجانبها :" هل كانت هذه نيتك صوفي؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أن تختبئي مني؟". تساءلت عما سيقوله لو أخبرته بالحقيقة: أنه يؤلمها في الواقع ، أن تري امرأة أخري بين ذراعيه. فقالت كاذبة:" أردت أن أريح قدميّ".

– والآن بعد أن أرحتهما.

وسمح لنظراته بأن تنتقل إلي الحذاء الصغير المثير يحتضن كاحلين بالغي الرقة. لم تكن ترتدي جوربين، إلا أن بشرة قدميها بدت ناعمة كالحرير.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– هل سترقصين معي؟

– لا. . . لا أضنها فكرة حسنة.

– أوه؟

– قد ينظر إلينا الآخرون باستغراب. . . كما أن ليس لدي رغبة. . . في أن أحتكرك لنفسي. هيا يا لويس! هناك عدد كبير من النساء هنا يتلهفن إلي الرقص معك.

– لكنني أطلب ذلك منك أنت، صوفي.

وسيضن الناس الأمر غريباَ إذا لم يرقص "

الدون" مع ضيفته هنا . هيا بنا يا صوفي. إنها أمنيتي. وإذا كنت لا ترغبين. . .

وابتسم وصوته يتمهل عمداً عند هذه الكلمة:". . . بإن تكوني فظة خشنة ، شرفيني إذن بالرقص معي". لم يطلب منها الرقص أحد قط من قبل بمثل هذه الطريقة التي لا يمكن مقاومتها. ولكن، من ناحية أخري ، لم يطلب منها الرقص قط رجل لا يمكن مقاومته، مثل لويس هذا. إنه مجرد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تهذيب، ذكّرت نفسها وهو يجرّها بين ذراعيه.

. . مجرد تهذيب. ولكن آه ، كان الواقع

مختلفاً إلي حد مؤلم. إحساسها وهي بين

ذراعيه،

يداه مرتاحتان بخفة على جسمها ، بدا ممتعاً

للغاية ما جعلها لا تستطيع التنفس. شدّها

إليه، وعلى الفور أفعمت خياشيمه رائحة

الليلك . كانت أصابعه على خصرها بشكل

متملك . وجعلها ثوبها الرقيق تشعر بلمسته

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بقوة. كان لويس يراقب ردة فعلها ويرى تمدد عدستيّ عينيها وهي تشعر بمبلغ مشاعره نحوها. وقالت بضعف:" لويس".

– نعم، عزيزتي. ألا يعجبك الرقص معي؟

أعجبها ذلك أكثر مما كانت تتصور، ولكن أليس في ذلك تعذيباً لها إلي حد لا يُطاق ؟ هل يعلم ما يفعله بها ؟ راح لويس يتحرك بشكل رائع بدون أن يشعر بأي خجل.

– أنت ترقصين بشكل جيد.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ابتلعت صوفي ريقها ، راجية أن تتبدّد مشاعرها. أما هو فكبح آهة إحباط. هذا العذاب الحلو. . .

أدركت صوفي أنها بدأت تهتم به. وبشكل عميق جداً. . . أرادت أن تري أعماق عقله السريع الذكي. أن تري بنفسها ما الذي جعل لويس دي لاكامارا شخصاً مثير للاهتمام إلي هذا الحد؟ ولكن مثل هذه الرغبة لن تفيدها في شيء. ذلك أن لديه صديقة، كما أخذت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تذكر نفسها بألم. كلما طال بقائها، كلما زاد احتمال وقوعها كلياً تحت سحره، وهي تدرك أن لا مستقبل لهما معاً على الإطلاق. هل يمكنها احتمال ذلك؟

لا. لن يمكنها ذلك! لقد حان الوقت لتتركه.

وكلما أسرعت بذلك كلما كان هذا أفضل.

قالت وهي ترتجف:" لقد اكتفيت من الرقص". ترك لويس يديه تسقطان من

www.riwaya.ga مكتبة رواية

خصرها ، ثم قال بفتور:" سنبحث عن تيودور". أدركت أنه لم يعد بإمكانها إرجاء ما عليها أن تخبره به. وعندما عادا إلي غرفتهما ، ووضعا تيودور الذي كان متعباً ولكن سعيداً، في سريره قرعت بابه بخفة. كان لويس على وشك أن يخلع قميصه، محاولاً أن يتخلص من ألم الإحباط العميق الذي لم يفارقه طوال السهرة.

– أدخل.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

انفتح الباب، فالتفت ليري صوفي تقف في الباب . انحبست أنفاسه في حلقه. كان شعرها مرسلاً حول كتفيها. وضاقت عيناه. ألا تدرك الخطر الذي أوقعت نفسها فيه؟ لا شك أنها غير واعية أن الضوء الذي ينساب من الممر ، يظهر بوضوح ساقيها الطويلتين الرشيقتين. جاء صوته غليظاً بشكل غير عادي:" نعم؟". وقفت عند العتبة مترددة. أن تراه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وهو على وشك أن يخلع ثيابه هو شيء حميم.

. . حميم للغاية. . . كيف يمكنها أن تتكلم

والكلمات عالقة في حلقها؟ كيف يمكنها

ذلك؟

– هل يمكنني. . . هل يمكنني أن أتحدث

إليك لحظة؟

نظر إلي الطفل النائم ، ثم أومأ. حتى ولو

كانت الكلمات التي ستقال سترسل في ذهنه

كل أنواع التخيّلات:" لنتكلم في غرفتك أنت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كيلا ينزعج نوم تيودور". أومأت وقلبها يخفق بين أضلعها بينما هو يتبعها إلي غرفتها . كان الأمر أشبه بحلم يتحقق، ما عدا أن هذا لن يتحقق. . . فلن يكون بينهما أكثر من حديث واقعي كان عليهما إجراءه منذ وقت طويل. كاد لويس يجن وهو يراها تسير أمامه. وعرف عندئذ أنه لن يستطيع النوم. . . ولن يستطيع القيام بشيء إذا هو لم يفعل هذا. . .

– لويس !

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صرخت فجأة عندما أمسك بها من الخلف ثم أدارها إليه لتواجهه:" . . . ما الذي تفعله؟".

فأجاب بتوتر:" أفعل ما أردنا، نحن الإثنان، طوال السهرة أن نفعله".

– أنت وعدتني بأنك. . .

– وعدتك بأن لا أعانقك أثناء الغضب. لكنني لست غاضباً الآن ، وكذلك أنت. فأنا لا أرى الآن سوى دعوة حلوة في عينيك.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وماذا أكون بين الرجال إذا أنات تجاهلت هذه الرسالة الحلوة الصامتة؟

حدثت نفسها بأن ذلك لا يعني شيئاً. إنه مجرد عناق وهذا كل شيء. . . لا شيء يمنعها من الاستسلام إلي المشاعر المحمومة التي تتدفق من عينيه. تعلقت به بضعف بينما أطال عناقه، ما جعلها تزداد ذوباناً. وتأوهة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وهو يشدّها إلي صدره فكادت ركبتاها تنثنيان.

– آه. . . صوفي!

في مكان ما في أعماقها انطلق صوت يحذرها بمنطق هادئ وكأنها دلو من الماء المثلوج قد أفرغ فوق رأسها. كيف أمكنها أن تنسي أن هذا الرجل النائي البارد القلب هو رجل عابث، وهو الذي جعل حياة ميراندا تعيسة؟ أبعدته عنها، فظهر الإحباط العابس على

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وجهه وتساءلت عما إذا كانت تبدو مثله.

شهقت قائلة:" هل غيابك عن ألخاندرا عدة أيام يجعلك متشوقاً إلي بديلة لها؟ فإذا لم تكن قريبة منك فإن أي امرأة يمكنها أن تسدّ مكانها؟". هزّ رأسه بنفاد صبر:" ألخاندرا لم تعد صديقتي!".

– منذ متى ؟ منذ الآن؟ لقد ذهبت لرؤيتها ليلة الجنازة. من المؤكد أنك لم تنس ذلك.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

. فقال وهو يصر بأسنانه:" لكن لم يحصل بيننا شيء يومها".

– لماذا اندفعت إذن لرؤيتها؟ هل لتلعب معها النرد؟

شتم بغضب وهو يقول :" ذهبت لأري ألخاندرا لأنني أدركت أن علاقتنا أنتهت".

فقالت بجفاء:" توقيت مناسب".

– ليس تماماً. الموت يرغم الإنسان على مواجهة الحقيقة. . . والحقيقة هي أن ألخاندرا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تطلب أكثر مما أنا مستعد لأن أعطيها أياه بكثير. فتنهد:" لم تكن علاقتنا تعني أكثر من ذلك . . . لكنها ظنت خطأ بأنني. . . أصبحت الآن حراً، لذا لم تعد هناك عقبة في طريقنا. وأن علينا أن نعيش معاً بكل معني الكلمة".

– هل أرادت أن تتزوجك؟

فابتسم ابتسامة غريبة وقال بنعومة :" ألخاندرا امرأة عقلانية يا صوفي. لم تأت على ذكر

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الزواج، ولكن ، نعم ، أعتقد أن هذه كانت نيتها الحقيقية".

إذن هذا ما جعله ينبذها. . . لأنها كانت كثيرة الطلبات . . . ولويس ليس من نوع الرجال الذي يمكنه التعامل مع الطلبات العاطفية. شعرت بالغضب يغلي في داخلها ببطء. هل هذه هي طريقة التي يعامل بها نساءه؟ ينبذهن عندما يطالبنه بأكثر من دور

صغير محدود في حياته؟ وها هو ذا الآن يحاول إغراءها بينما هي ، الغبية الحمقاء، أوشكت على الوقوع في الفخ. عليها أن تخرج . . . وتخرج الآن! فقالت له ببرودة الثلج:" أنت أهنتني بمحاولتك إغرائي. أنت تعامل النساء كأنهن مواطنات من الدرجة الثانية ! سأعود إلي إنكلترا يا لويس . . . وأريد آخذ تيودور معي!".

8 – من أجل تيودور

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ضاقت عينا لويس وقد تلاشت كل رغبة محبطة شعر بها نحوها بسبب قولها هذا. وقال بلهجة خطيرة :" قولي ذلك مرة أخرى".

– أريد أن أعود إلي أنكلترا مع تيودور. جدتي تتمني أن تراه. فقال بحدة:" لن تأخذي تيودور إلي أي مكان".

– – أنا لا أعني بصورة دائمة . . .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقال بغضب :" حتى صورة المؤقته ليست خياراً يُنظر بأمره. كيف تجرؤين على طلب ذلك؟".

آه، يا إلهي . . . لماذا طلبت منه ذلك يمثل هذه الصفاقة وعدم اللباقة؟

– أرجوك يا لويس. . .

لكن قلبه بدا متحجراً إزاء التوسل في عينيها . لقد حدثّه غريزته بأن لا يثق بها، لكنه ترك رغبته تملي عليه عدم الحذر :" أي نوع من

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الحمقي أنت يا صوفي لكي تظني أنني قد أسمح لك بأن تنقلي ابني من وطنه؟ هل في نيتك أن تبقيه هناك؟ أن تطالبي بالوصاية عليه؟ هل هذا هو الأمر؟ هل هذه كانت خطتك من البداية؟".

- لا. طبعاً لم تكن هذه خطتي!

- كلمة طبعاً هذه لن تخدعني . نحن الإثنان نعرف مدى صعوبة انتقال طفل إلي بلاد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أخرى. لا بد أنك مجنونة إذا كنت تظنين أنني سأوافق على مشروع كهذا !

ربما هي كذلك! مجنونة إلي حد يتنافي مع مصلحتها . منذ دقائق كانت مستسلمة لعناق هذا الرجل الذي بإمكانه أن يحطم قلبها . وبدلاً من أن تلتمس منه الرحمة. . . فتشرح له رجاء جدتها، إذا بها تعلن له ما بدا طلباً غير منطقي. هل تصورت أنه سيسمح لها بأن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تصعد إلي الطائرة مع ابنه الغالي، لمجرد أنه تصرف كمرافق لطيف خلال الأيام الماضية؟

– إسمع، ربما أنا لم أحسن القول. . .

– ربما لم تحسنيه، لكنك كنت صادقة على الأقل. هل هذا هو السبب في إظهارك الحلاوة واللطف مؤخراً. . . لكي تغريني فأقبل بطلبك؟ ألهذا كنت تتمايلين بهذا الشكل الرائع أثناء رقصنا الليلة معاً؟ فكرت أن إغراءك لي، يجعلك تحصلين على ما تريدينه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بالضبط؟ لكنك في أخر لحظة لم تستطيعي أن ترغمي نفسك على متابعة ذلك . مهما كانت رغبتك قوية في وضع يدك على تيودور؟

– لويس! ما تقوله غير صحيح!

آه، بل أنه صحيح . فأنت لم تخفي شعورك نحوي. . . كنت فقط من البراعة في التمثيل بحيث جعلتني أعتقد ذلك لفترة محدودة.

ولمعت عيناه غضباً:" وربما هذه هو السبب معاملتك الجيدة لابني".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

جرحها قوله هذا أكثر من أي شيء آخر قاله حتى الآن:" هل. . . هل تظن حقاً أنني كنت أحتال على ابنك لأجل مصلحتي؟".

– وما أدراني بحق الله؟

فحاولت للمرة الأخيرة:" لويس، أرجوك. . . "

– آه، وفري توسلاتك !

حدّقت إليه. . . إلي هذا الغريب الأسود العينين الذي لا تكاد تميّز فيه ذلك الرجل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الذي كان قد عانقها لتوه بكل تلك الحلاوة والمشاعر المحمومة:" هل. . . هذا هو جوابك النهائي؟". فقال بجمود:" نعم".

– إذن ، لا شيء يقال أكثر من ذلك؟

– لا. ولا كلمة واحدة.

قال هذا بشدة وهو يحدق في عينيها لآخر مرة ، ثم زمّ شفتيه بشدة ، واستدار ليغادر الغرفة من دون كلمة أخرى.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تقلبت صوفي كثيراً في فراشها قبل أن تتمكن من النوم. و في الصباح التالي استيقظت متأخرة لتجد أن لويس قد سبقها و ارتدى ملابسه ، ثم ترك لها ملاحظة مختصرة تقول إنه انزل تيودور معه إلى الطابق الأسفل ليتناول فطوره.

اغتسلت وارتدت ملابسها، ثم نزلت إلى غرفة الطعام، فرأته جالساً في آخر الغرفة حاني الرأس باسم الفم وهو يطعم أبنه . ويبدو انه

سمع وقع خطواتها، فقد رفع بصره حين اقتربت و إذا بقسمات وجهه تغدو قاسية متحجرة:" تفضلي بالجلوس يا صوفي . هل نمت جيداً؟" .

كان لمعان عينيه يناقض تهذيب كلماته.

– لم أنم جيداً في الحقيقة. و أنت؟

ظل لويس يغلي غضباً طيلة الليل. أقلق تفكيره أنه أساء الحكم عليها ، وسمح لها

بإغوائه. تجاهل سؤالها، وسألها ساخراً: " هل جواز سفرك معك؟"

فسألته باستغراب :" جواز سفري؟ تعم . إنه في حقيبة يدي في الغرفة".

– هذا حسن.

أشار إلى طبق الفاكهة الطازجة و الحلوى وهو يلقم ابنه الطعام : " أقترِح أن تتناولي فطورك". ساورها شعورها مثبّط بالنسبة إلي هذا الرجل الذي لا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يقبل التهدئة:" لا أريد فطوراً". كل ما أرادت معرفته هو لماذا يسألها عن جواز سفر. فهز كتفيه:" فليكن ! ستأكلين في الطائرة".

– الطائرة؟ أية طائرة؟ ما الذي تتحدث عنه؟

– الطائرة التي ستعيدك إلي وطنك. لقد اتصلت بشركة الطيران . هناك رحلة من مدريد إلي لندن في وقت متأخر من هذا الصباح. وأضنك ستوافقين أن لا فائدة من عودتك إلي " لاريوجا" الآن.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قال ذلك بابتسامة باردة . إنه يبعدها وكأنها ليست أكثر من طرد بريدي غير مرغوب فيه.

– ولكن ماذا عن أمتعتي؟

– سترسل إليك لاحقاً.

– أبهذا الشكل؟

فقال ببرودة:" بهذا الشكل". فتحت فمها لكي تجادله ، لكن النظرة التي ظهرت في عينيه أنبأتها بأن لا فائدة من ذلك. لويس دي لاكامارا لا يعرف التساهل في هذه الأمور. .

. وفي كل شيء. إنه على حق، فقد تصرفت بحماقة. تركته يقترب منها . . . ويقترب إلي درجة خطيرة. . . ثم نسفت كل شيء. . .

أفشت كل نواياها في حالة غضب وإحباط وألم ، فجعلته يظن بها الأسوأ. ولكن لم يخطر ببالها أن يظن لويس أنها تريد أن تخطف ابنه منه ، هاربة به. العنف الذي بدا في ملامحه أكّد لها أنه يعتقد ذلك حقاً، وأن مثل هذه الجريمة لن تقبل الصفح أو النسيان. إلا أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أكثر ما أثار فيها الألم إعلامه أنه لن يرافقها إلي المطار:" أنا سأمضي الصباح هنا في المدينة مع أمي وتيودور".

– آه، آه، فهمت.

– وهكذا سأقول لك وداعاً الآن

أومأت وهي لا تكاد تستطيع الكلام. لكنه سمح لها بأن تعانق تيودور لآخر مرة.

– الوداع يا حبيبي.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

همست بين خصلات شعره الأسود وهي تتساءل عما إذا كانت ستراه قط بعد الآن.

بعد قليل كانت السيارة تنتظرها خارج الفندق في أشعة الشمس الدافئة، لتقلها إلي المطار " باراجاز". حجز لها لويس مقعداً في الدرجة الأولى. لكن ذلك لم يكن يختلف بالنسبة إلي صوفي عن عربة لشحن المواشي، بسبب الاضطراب والسوء اللذين كانت تشعر بهما.

وعندما هبطت بها الطائرة في إنكلترا، في ذلك

www.riwaya.ga مكتبة رواية

النهار الممطر البارد، شعرت في وطنها وكأنها أجنبية.وجدت طناً من الرسائل في جهاز لإجابة في تلفونها، ورزمة كبيرة من الرسائل البريدية ، وبعد فترة قصيرة اتصلت بجدتها :" لقد عدت يا جدتي".

– وتيودور؟

– آه. . .

أوشكت أن تقول (انتظري حتى تريه) لكنها كبحت الكلمات :" إنه. . . جميل. . . جميل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تماماً. لقد التقطت له ملايين الصور لأجلك وسأحضرها إليك حالما يتم طبعها". ساد صمت قصير:" لكنك لم تحضريه معط".

– كلا.

– أظن لويس رفض ذلك.

– نعم مع الأسف.

– هذا ما ظننته.

وتنهدت الجدة . وسمعت صوفي نبرة الحزن في صوتها فتساءلت هل كان عليها أن تجاهد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لإحضاره أكثر مما فعلت ! عادت صوفي إلي

نظام عملها المعتاد بصعوبة . فكانت تركض

لتدرك القطار، وتذهب أيام الجمعة إلي

الأماكن الشعبية الصاخبة ، أما الآحاد

فتمضيها في التسوق وزيارة المعارض الفنية.

لكنها افتقدت تيودور أكثر مما كانت تتصور؛

افتقدت عبثه في مياه جمامه الدافئة ،

حكايات ما قبل النوم، رائحته الحلوة،

ضحكاته وهي تدغدغه، وذراعاه الممتلئتان

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عندما كانت تعلمه السباحة. حياتها في لندن كانت تختلف تماماً عن الحياة التي تركتها لتوّها خلفها. افتقدت شمس إسبانيا الدافئة ورائحة الليمون الذي يتدلي من الأشجار.

كما أنها . . . لفتقدت لويس أيضاً. ما أغرب ذلك! حتى كأن شيئاً أساسياً في حياتها قد انسلخ عنها ، تاركاً إياها في فراغ وألم. . . وشوق لسماع صوته بلكنته الناعمة، ورؤية

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لمعان عينيه السوداوين الغريب. آلاف الأميال تبعدها عنه. بدا لها من السهل تجاهل صوت قلبها وضرباته المتلاحقة. بُعد الوقت والمسافة جعلا ذاكرتها تقوم بانتقاء أحداث ومواقف محددة وتقوم بتحليلها. أثناء وجودها في إسبانيا حدث شيء ما. ولم يكن مقتصراً على الجاذبية الجسدية فقط ، فهذه كانت دوماً موجودة. وقد قمعتها بقسوة عندما كانت ميراندا حية. فكرت أن من المستحيل عليها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أن تكون منيعة إزاء لويس . . . ذلك الرجل الذي لا يشبه مطلقاً الزوج الذي وصفته ميراندا. إنه لويس الذي عرفته في إسبانيا؛ الأب المحب ، الرفيق الذكي الممتع. . . هل يكون هذا كافياً لكي تقع في حبه؟ شعرت من الألم ما لا يشعر به سوى الذين يقعون في حب شخص لا يبادلهم الحب. لم تعرف مثل هذه المعاناة قط من قبل. شعرت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وكأنها امرأة تغرق، وهي تحاول بيأس أن تتمسك بصخرة زلقة لا تمنحها الخلاص . حتى كأن عالمها القديم لم يعد موجوداً، وكأنها امرأة غريبة والناس الذين يحيطون بها هم مجرد أشباح يتحركون فيما يشبه الظلال.أرسلت إلي تيودور كتاباً وبطاقتين بريتين من لندن، قائلة فيها إنها ترجو أن تراه مرة أخرى وفي وقت قريب. إلا أنها تساءلت في أعماقها ، عما إذا كان لويس سيعطيه البطاقتين. أرجو ذلك يا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الله! ربما كان لايثق بدوافعها، ولكن، بالرغم من كلماته الغاضبة حينذاك، من المؤكد أنه لا يشك في حبها الحقيقي لابنه. وذات مساء ، وبعد أن أوشكت صوفي على فقدان الأمل، تلقت اتصالاً هاتفياً . يومها وصلت إلي بيتها متأخرة ، بعد يوم عمل شاق ولكن ناجح ، في مكتبها، كانت هي وليام قد أمضيا الأسبوع يعملان معاً في أكبر صفقة في حياتهما، إذ استلما الإعلانات في شركة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سيارات، وعلى الأخص لآخر طراز من السيارات الرياضية. تملكها الذهول عندما حصلا على الصفقة ، ومعها عقد بعدة ملايين من الجنيهات. واقترِح ليام أن يذهبوا لتناول العشاء والاحتفال.لكن صوفي ادعت بأنها تعاني من الصداع، فهي لا تستطيع أن تخبر زملاءها في العمل بأن قلبها يتألم إلي حد تخاف معه أن تفسد احتفالهم. وسألها ليام عابساً:" هل أنت بخير؟".

– طبعاً أنا بخير. . .

وكان هذا كذباً: " . . . فأنا سأصبح امرأة غنية جداً". ولكن ما قيمة المال. . . ما قيمة أي شيء في الحقيقة، إذا لم يستطع الإنسان أن يحصل على الشخص الذي يريده أكثر من أي شيء آخر في الحياة؟ ما الذي حدث لها ؟ سيدة الأعمال الهادئة الناجحة تحوّلت إلي امرأة تتشوق إلي مباهج حياة الأسرة اليومية .

وليس أي أسرة. . . فقد كان هناك أسرة جاهزة ، فيها مكان شاغر لزوجة وأم. لكن هذا لم يكن معروضاً ، لم يكن معروضاً بكل تأكيد. ورفعت سماعة الهاتف.

– صوفي؟

كادت السماعة تسقط من يدها . وهمست:" لويس".

– طبعاً.

سادت فترة صمت استراح هو بعدها، فقد تخيل أنها ستقفل الهاتف في وجهه. ألم يكن يستحق ذلك؟ ورق صوته:" أتريدينني أن أحضر إليك تيودور لكي يري جدته؟".

أغمضت عينيها بشدّة:" آه ، لويس، أحقاً ؟ صدقاً؟ هل تعني ذلك؟".

– طبعاً أعنيه.

وتنهد . لم تكن كلمة آسف سهلة عليه:"صوفي، كنت أعمي. متهوراً بالنسبة إلي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إحساسك بالواجب. ما كان لي أن أقول لك تلك الأشياء التي قلتها. بعد رحيلك أدركت أن طلبك لم يكن غير معقول. . . ".

– ما كان لي قط أن أقترح أخذه بمفردي.

ولكن كيف كان لها أن تطلب من لويس أن يصحبها إلي إنكلترا؟ فقال بهدوء:" لا. ما كان لك أن تفعلي هذا. ولكن ذلك الأمر انتهي الآن. هل أحضر أنا؟".

– متى؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

اللهفة إلي رؤيتها قد دمّرته : " خلال هذه العطلة الأسبوعية؟". شعرت كأن الله قد استجاب لدعائها. لكنها ذكرت نفسها أن لويس تؤدي واجبه كأب فقط، من دون أن يقدم أكثر من هذا. حتى لو كانت علاقته مع ألخاندرا قد انتهت ، فهناك نساء أخريات على استعداد لأخذ مكانها. بعض النساء الإسبانيات الرائعات الجمال هن شريكات

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ملائمات له أكثر بكثير من ابنة خالة زوجته الإنكليزية الراحلة.

– سأقابلك في المطار.

قالت هذا بصوت مرتجف وهي تضع السماعة. ثم اتصلت بجدتها وقالت بصوت مرتجف:" جدتي ، هل تحبين أن تري حفيدك خلال العطلة الأسبوعية؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صباح السبت راحت أصابعها ترتجف إلي حد لم تكد تستطع معه إقفال ثوبها. ثم مرّت الدقائق كالساعات حتى االلحظة التي هبطت فيها طائرة لويس على أرض المطار. جاء لويس إلي صالون الواصلين حاملاً تيودور ، وعيناه السوداوان تبحثان عنها . شعر بسخونة ما أن رآها هناك بانتظاره، وشعرها الأشقر مصقول، لامع، ومنسدل على الثوب الكتاني الذي ترتديه. تذكرها بين ذراعيه،

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وشعر بنعومة بشرتها، وشذا عطرها يسحره.

وقفت صوفي جامدة، لا تستطيع الحراك ولا

تنفس. رؤيتها له مرة أخري أضاعت منها

الحواس . في الفترة الأخيرة، لم تكن تفكر إلا

فيه تقريباً. ومع ذلك ، جسمه الضامر

الصلب ، ووجهه الوسيم المزهو كانا أحسن

مما تتذكرهما بمليون مرة. ثم رآها تيودور ،

فصرخ:" صوفي". فعضت شفتها المرتجفة

بشدة وهي تمدّ ذراعيها فيركض الطفل إليهما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مباشرة. وقال لويس:" لقد افتقدك". ومن فوق رأس تيودور قابلت عيني لويس اللامعتين المتفهمتين. وأضاف برقة:" نحن الإثنان افتقدناك". حدثت نفسها بغضب أن هذا لا يعني شيئاً . . . لا

عني شيئاً. . . وقالت :" لقد استأجرت سيارة وهي تنتظر في الخارِج. آه! واشتريت ألعاباً لك يا تيودور".

– أنت تفسدينه بالدلال.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– لِمَ لا؟ إنه سرور لي.

– أعرف ذلك.

وغادر الثلاث المطار وصوفي تحمل الطفل.

ربط لويس الطفل في مقعد الأطفال، وسألها:" ألس لديك سيارة؟". فهزت رأسها:" لا حاجة لي بها ، في الحقيقة. خصوصاً في لندن. يمكنني أن أسير، أستقل المترو أو أستأجر سيارة إذا كان الجو ممطراً". فابتسم :" وهل تمطر دوماً؟".

فقالت برزانة: " ليس مثل لاريوجا طبعاً".

كانت الجدة تنتظر عند الباب عندما توقفت السيارة . بدت حديقة الكوخ قديمة الطراز بالضبط كما كانت تبدو لصوفي عندما كانت طفلة . ونباتات الخطمية والورود والياسمين لا زالت تتسلق جدران المنزل.

– مرحباً يا لويس.

ابتسمت له سيدة ميلز، ثم نظرت طويلاً وبحدة إلي الطفل ذي الشعر الأسود وقد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أشرق وجهها المغضن:" لا بد أنك تيودور".

في الحديقة كان الجوّ دافئاً بما يكفي ليتناولوا الغداء. جلس تيودور على بطانية فرشت له ، حيث أخذ يلعب بألعابه محدثاً جلبة من كل الأنواع. وبعد ذلك بدأ بالتثاؤب، فانتقلوا جميعاً إلي الداخل حيث شربوا القهوة ، بينما اندس هو في الأريكة مسروراً ليستغرق أخيراً في النوم؟ والآن ماذا بعد؟ فكرت صوفي بذلك. ولكن لدهشتها وجدت أن لويس

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وجدّتها قد انخرطا في الثرثرة معاً بسرور بالغ. إنها لا تكرهه على الإطلاق، كما أخذت صوفي تفكر وهي تخلي المائدة من الأطباق وتأخذها إلي المطبخ. وضعت كل شيء في غسالة

الأطباق. ثم رفعت الجدة بصرها إليها :" لِمَ لا تغتنمين الفرصة وتأخذين لويس في جولة حول

www.riwaya.ga مكتبة رواية

القرية ما دام تيودور نائماً". نظرت صوفي إلي لويس:" هل ترغب بذلك؟".

– طبعاً، لم لا؟ أنت تعلمين أن تيودور سينام لساعة أو ربما لساعتين.

سارا في الطريق، متجاوزين الكنيسة. قالت وهي تتنفس بشكل غريب:" هنا يمكنك أن تسمع أجمل رنين جرس . وهنا في مكتب البريد، كانوا دوماً يسمحون لنا بالآيس كريم إذا . . . ". قال لويس فجأة:" صوفي.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

سلفادورا ستنتقل من البيت". فوقفت:" تنتقل؟ إلي أين؟".

– ستعود إلي " سلامنكا"حيث تعيش أسرتها، وزوجها بييرو أيضاً. إنها تكبر في السن، وهي أكبر من أن تستطيع العناية بتيودور الآن أدركت ذلك بعد رحيلك . وهي مسرورة برحيلها. . . فالطفل عبء كبير عليها. أدركت ذلك أنا أيضاً. ورأيت بنفسي الفرق في الطريقة التي كنت أنت تعاملين بها الطفل ،

فأنت صغيرة يمكنك أن تلعبي معه وهو يحتاج إلي من يلعب معه.

قطبت جبينها مشتتة الأفكار: كيف يمكنه أن واجه الأمور في البيت بدون سلفادورا؟

– ماذا ستفعل أنت؟ومن الذي سيرعاه من الآن فصاعداً؟

– سيكون عليّ أن أعلن فب الصحف عن حاجتي لمربية. وأخذ يراقب ردة فعلها بعناية: "مربية صغيرة السن . . . مثلك".

تقابلت أعينهما بينما قفز قلبها في صدرها . جرؤت أن تلقي سؤالاً من دون أن تهتم بحماقته:" ولكن ليس أنا ؟". سكت لحظة ثم قال متعمداً:" ولكن، لديك حياتك الخاصة هنا". أحقاً ؟ ما نوع حياتها الآن؟ الحياة التي ترغب فيها حقاً مع هذا الرجل الذي تتلهف إليه . لكنه لا يطلب منها أن تكون معه ، فقالت بألم :" أنت تعني أنك لا تريدني". كانت اللوعة في قلبها ترسل الكلمات من

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فمها بدون وعي منها . فقال وقد فقد شيئاً من توتره:" آه، صوفي". قال هذا وهو يأخذها بين ذراعيه من دون إنذار. كانت عيناه السوداوان تتوهجان بلهب أبنوسي وهو يحدق في وجهها :" هذه هي المشكلة يا عزيزتي. أنا أريدك، أعني. . . أفضل أن تعتني أنت بتيودور، لكنني أخشي أن أكون قد أسأت إليك كثيراً، وهذا يمنعك. . ".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

- لويس. . .

لكنها لم تتحرك، لم تستطع . فبين ذراعيه، هو المكان الذي تفضله على أي مكان آخر.

- أريدك أن تأتي معي ، صوفي.

كان صوته الغني يصل إلي أعماقها، فتلونت وجنتاها بلون الخوخ بينما كان يهمس:" نعم، أنا أريدك أن تعودي معي إلي " لاريوجا" وتهتمي بتيودور كما فعلتي سابقاً . فلا أحد ، سواى طبعاً، يمكنه أن يحب تيودور ويعتني به

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كما تحبينه أنت وتعتنين به. أظنك شغوفة به أليس كذلك؟ . وهي تريد أن تكون هناك أكثر من أي شيء آخر في العالم، ولكن . . . لم تعرف أكان عليها أن تفرح أم تحزن. إنه لا يثق بسواها فيما يتعلق بتيودور، أما هو . . . فلم يبد نحوها أي اهتمام شخصي. لكنها تمالكت نفسها لتقول:" آه، نعم أنا شغوفة به حقاً. لقد افتقدته كثيراً". وتنهدت :" لا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أدري". كيف يمكنها أن تترك كل شيء

وراءها. حياتها ، عملها. .

ولكن قلبها الهش الضعيف راح يضغط عليها

. ورفعت وجهها إليه تركز نظراتها في عينيه:"

الأمر ليس بهذه البساطة يا لويس".

– أنه بسيط بقدر ما تجعلينه بسيطاً. أنا . . .

أنا سأكون سعيداً بصحبتك أيضاً.

حاولت أن تقنع نفسها بأن هذا غير منطقي

أبداً ، أن تترك كل شيء لأجل تيودور . أما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ليس ، فلا يقدم إليها أكثر من صحبته. بينما هي تريد منه أكثر من ذلك بكثير، لكن مبرراتها لم تنته إلي شيء عندما اشتد ضغط ذراعيه حولها ليعانقها مجدداً أبعدته عنها وتخللت شعرها الأشقر بأصابعها بذهن شارد:" أنت تطلب مني الكثير يا لويس".

– أنا أعلم هذا.

أن تتخلي عن كل ما لديها هنا ، في حياتها الآمنة المريحة المضمونة في إنكلترا، من دون

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مقابل سوى صحبته وابنه، لتعيش معهما في تلك المزرعة الرائعة الجمال المستكينة في أودية" لاريوجا"، من دون وعد باحب. . .

لكنها ذكرت نفسها بأن لويس لا يمكنه أن يكون منافقاً، ويعدها بما لا قدرة له عليه. ولكن هل تسمح لنفسها بأن تنسي كيف نبذها بكل بساطة؟ أليست الحمقاء اليائسة فقط هي التي تتشبث بفرصة كهذه؟ لكنها

www.riwaya.ga مكتبة رواية

من ناحية أخري، فكرت في البديل. . .

بحقيقة الحياة من دون حيوية وحساسية ذلك الإسباني، وأدركت حينئذ بأن على المرء أن يجازف أحياناً في هذه الحياة مجازفة عاطفية هذه المرة. هذا مؤكد، فهي قد جازفت حين أسست الشركة مع ليام مع أنها قليلة الخبرة. لكن ذلك كان أمراً مختلفاً ، يتعلق بالمال. ولهذا فإن ما يمكن أن تخسره أقل بكثير. وعادت تفكر في ذلك مرة أخري. إنها في

www.riwaya.ga مكتبة رواية

السابعة والعشرين من العمر. من يدري؟ ربما تتغير علاقتها بلويس بعد أن تعيش في منزله. ربما. . . سيشعر نحوها بالحب. أما إذا جرمت نفسها من هذه الفرصة ، فقد تندم على ذلك بقية حياتها . وإذا فشل الأمر بينهما ، يمكنها أن تعود إلي لندن لتبني حياتها من جديد. يمكنها أن تؤسس وكالة أخري. ولكن هذه ربما فرصتها الوحيدة مع لويس؟ ماذا لو انتهت بالمرارة والأسى؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ماذا لو انتهي بها الأمر وهي تلقي على نفسها أسئلة أجوبتها تحطم القلب؟أتراه تكهن بلحظة ضعفها هذه، فقال يسألها مغتنماً الفرصة بلهجته الناعمة، أشبه بمصارِع الثيران الذي يدخل الحلبة ليهزم الثور ؟

– هل تأتين، صوفي ؟ هل تأتين وتعيشين معنا في " لاريوجا"؟

سكتت تفكر في البديل إلا نها لم تجده: " سأفعل". قالت هذا بصوت منخفض، وهي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تفكر متشوقة وبألم بالغ ، كم يشبه ردها هذا

الموافقة

لى الزواج؟ لكن لويس لا يعرض عليها

الزواج. كان صادقاً أكثر مما ينبغي. إنه يأتمنها

على ابنه لتحبه وتعتني به ، أما هو فلا يقدم

حبه بل رفقته فقط. ولكن ليس الحب، ليس

الزواج. مجرد رفيقة وراعية لابنه . لم يكن هذا

كافياً، ومع ذلك ، ولأمر جنوني يتعذر

تفسيره، بدا لها كذلك. إنه أكثر مما لديها هنا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بكل تأكيد، من دون رجلها الإسباني المتكبر المتغطرس الذي احتل أفكارها كما لم يفعل رجل قط من قبل ز ولن يحدث هذا مرة أخري، كما أدركت بألم. فلو أنها عاشت حتى المئة، لن تأتيها فرصة أخري. يجب أن تتشبت بها وتستمتع بها.ستمنح هذه التجربة عاماً من حياتها، هذا إذا تمكنت من البقاء هناك طوال هذه المدة ، وبعد ذلك ستعود إلي التفكير في

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مستقبلها. وعدت تقول:" سأفعل". لكنه أراد أن يتأكد:" هل ستتركين كل شيء خلفك؟".

– نعم.

– لماذا؟

– لأجل. . . تيو. . . تيودور. . .

قالت هذا متلعثمة فرأت فجأة وجهه يتجمد ، وعينيه تضيقان، وهو يومئ بشكل آلي تقريباً:" نعم . . . لأجل تيودور".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شيء ما جعل صوته جافاً. لكن لا يمكنها أن تقول له إنها تفعل ذلك لأجله أيضاً، لأنها تحبه. فلويس لن يتردد في الابتعاد عنها مسافة ميل على الأقل إذا اشتبه في أنها تحبه. حدّق إليها ورأي اللمحة السريعة من الضعف في عينيها الزرقاوين . لم يكن قادراً على أن يمنحها الضمانات التي هي بحاجة إليها. . . وتستحقها . قد يكون رجلاً بلا قلب. . . ولكن من مؤكد أنه لن يعبر عن مشاعر لا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يحس بها ! حدّث نفسه بأنه عانى كثيراً حين ابتعدت عنه . نعم، إنه يرغب فيها. . . أكثر مما رغب في أي امرأة أخري. . . ولكن هل من العدل أن يدّعي ما لا يشعر به من مشاعر حب نحوها؟ تأوه وهو يرفع يدها ويقربها من شفتيه ثم يأخذ في تقبيل أناملها واحدة بعد أخري بينما عيناه تأسران عينيها بلمعانهما الأبنوسي.

– وهل يمكنك أن تتركي شركتك من دون نظر إلي الخلف؟

– عليّ أنه أفكر في ذلك.

ربما بإمكانها أن تعمل جزءاً من الوقت من إسبانيا بصفتها عضو السلطة التنفيذية للشركة. أم أن من الأفضل بالنسبة إلي ليام والشركة أن تقطع صلتها بهم تماماً ؟وهل يعفيها هذا من القلق. . . ؟ وهل تسمح لها الفائدة التي تجنيها من رأسمالها بأن تستمر في

www.riwaya.ga مكتبة رواية

استقلاليتها ؟ لأنها ، كما أدركت والغضب يتملكها ، لا تريد أن تكون جليسة أطفال تلازم البيت

فقط ، مهما كانت الظروف. ابتسمت في عينيه العابستين وهزت كتفيها:" سبق وقلت لك . . . ليس هناك شخص لا يمكن الاستغناء عنه". لكنها كادت أن تصبح شخصاً لا يُستغني عنه بالنسبة إلي تيودور،

كما أدرك لويس ، ولم تكن الأولى التي يدرك فيها ذلك. فصوفي قد أحبت الطفل واهتمت به بطريقة لم تستطعها أمه ميراندا، أراح الله روحها.

– حسناً، ما رأيك بالعودة إلي المنزل؟ جدتي تنتظرنا وكذلك تيودور . لدينا مسؤوليات يا لويس.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

من السخرية أن كلامها لم يعجبه، وكأنه يريد أن يستأثر بها لنفسه، لكنها على صواب، فلديهما مسؤوليات.

– نعم.

شعر بألم جسماني بقدر ما اشتبه بأن لديها هي أيضاً مثله. . . ومع ذلك ، أعجب بهدوئها وتراجعها خطوة الآن لتبتعد عنه.

فقال كارهاً :" فلنذهب إذن. قبل أن يستيقظ تيودور ، ويسبب الإزعاج لجدتك". فقالت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مازحة:" إذا كان هناك من يسبب الإزعاج ، فهو أنت وليس تيودور".

– ماذا، صوفي. هل تقولين إنني أزعجك حقاً؟

واقترب منها وعيناه تسخران منها . لكنها هزت رأسها غير واثقة من نفسها . لا يمكنها أن تتصور رجلاً آخر يتشدق بمثل هذا التفاخر والسيطرة. فارتجفت وتساءلت إن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كانت بقبولها الذهاب مع لويس دي لاكامارا قد ألزمت نفسها بأكثر مما تتوقعه. إلا أنها أكملت مازحة:" لا. أنا بإمكاني أن أكون أكثر إزعاجاً منك لويس دي لاكامارا".

– 9– وتفتّح القلب . . حناناً

قال لويس بصوت خافت:" ها أنت ذي هنا أخيراً. وبعد هذا الوقت الطويل". جفّ فم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

صوفي وهي تبادله النظرات. كان يرتدي قميصاً ببياض الثلج وبنطلوناً بسواد الفحم، ما جعله يبدو كمصارع ثيران. فأجابت وهي ترتجف :" نعم. . . ها أنا ذا". استقبلها في المطار مرة أخرى، وعادا للتوّ بالسيارة. كانا كلاهما يشعر بالتوتر خلال الرحلة العودة إلي درجة لا تطاق. بدت صوفي متلهفة إلي رؤيته، لكنه لم يعانقها مرحباً بها . والآن بعد أن وضعا تيودور في سريره، ما زال لويس يبدو

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شارداً، ولم تعرف هي سبب شروده كما أنها لم تجرؤ على السؤال. من المؤكد أنه غير نادم الآن على قراره بإحضارها إلي هنا . لقد أمضت شهراً وهي تنظم أمور حياتها في إنكلترا ، لتجهز ترتيباً يبدو غريباً وغير مألوف. فلماذا يقف بعيداً عنها إلي هذا الحد؟ سكب لها كوب عصير وناولها إياه :" هل كان من السهل عليك مغادرة الوطن؟". أخذت الكوب شاكرة ، إلا أنها شعرت ببعض

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الاشمئزاز، فقد بدا من لهجته وكأنه يجري لها مقابلة توظيف. . . وهذا كان صحيحاً إلي حد ما، كما ذكرت نفسها بألم . ألم يقدم لها وظيفة مربية لابنه؟

- لا أستطيع أن أسمي الأمر سهلاً.

فرفع حاجبيه متسائلاً بغطرسة:" آه؟".لن تعترف له بأن كل من عرف بقرارها حاول أن يقنعها بالعدول عنه . سألها والداها بقلق عما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إذا كانت تدرك ما تفعل، وأخبرها ليام بصراحة بأنها مجنونة. كما أن جدتها بدت قلقة للغاية.

– آه، يا صوفي. هل أنت واثقة؟

فقالت صوفي بعناد: " أنا شغوفة بتيودور". فسألتها جدتها بدهاء: " تيودور فقط؟".

– ماذا تعنين؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ماذا سيكون دورك بالضبط؟ مجرد راعية لتيودور؟

– ليس مجرد راعية، كلا بالطبع. سيساعدني لويس في رعايته كلما كان في المنزل. كما أن هناك فتاة في القرية يمكنها أن تبقى إذا أردت أنا الخروج. آه، كما أن هناك طاهية جديدة وبستاني، ومدبرة منزل.

أضافت ذلك بغموض تقريباً، فرأت جدتها ترفع حاجبيها بخفة:" وهل هذا كل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شيء؟".تنهدت صوفي ولم تدر هل عليها أن تخبر جدتها

لحقيقة أم لا ؟ ولكن كيف يمكن أن تخبر امرأة تقارب الثمانين أنها وافقت على أن تصبح مربية تيودور لتكون قريبة من ابيه الذي لا يبادلها الحب؟ وقالت متلعثمة:" من الصعب توضيح ذلك. لا أدري ما الذي سيحدث. . . ."

– أنت تحبينه، أليس كذلك؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عضت صوفي شفتيها. إنها لا تريد أن تكذب ، لكنها تكره أكثر أن تسبب القلق لجدتها . ومع ذلك ، من بإمكانه أن يقول شيئاً؟ هذا صحيح، فهي تحبه، ولكن ربما " الحب" كلمة تستعملها المرأة عندما تريد أن تصف تلهفها إلي رجل يكاد يفقدها صوابها.

– لا أدري ما أشعر به حقاً. أنا أعلم أنك تظنينه أساء معاملة ميراندا، وأنه سيء كلياً. .

.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقاطعتها جدتها بحزم:" أنا لم أقل هذا قط. ليس ثمة شخص سيء كلياً، كما أنه ليس هناك من هو جيد كلياً. ولكن قد يكون الشخصان غير مناسبين لبعضهما البعض. وأظن أن المسألة كانت كذلك مع ميراندا ولويس. فقط كوني حذرة يا عزيزتي، هذا كل ما سأقوله. رجل مثل لويس لديه جاذبية واضحة، ولكنه قد لا يكون جيداً بالنسبة إليك أيضاً".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تذكرت صوفي كلماتها هذه أثناء الرحلة مدركة أن جدتها ربما نطقت بالحقيقة التي لا تريد هي أن تسمعها، لكنها تدرك أيضاً أن وقت التراجع قد فات الآن. فقد كرست نفسها لتيودور، على أمل أن تفوز بحب أبيه. إلا أن الأب كان يقف الآن أشبه بغريب رائع مهيب في غرفة جلوس عالية السقف في بيت ريفي فخم للغاية. حسناً، عليها اللعنة إذا كانت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ستقوم هي بالخطوة الأولى لتتقرب منه . ألم تتخل عما يكفي لتحضر إلي هنا ؟ رأي لويس التوتر الذي صلّب كتفيها، فقد بدت ضعيفة متوترة وكأنها ندمت على قرارها بالمجيء ، ولكن من الطبيعي أن تتملكها الشكوك .

قال باسماً :" اجلسي". كان هذا أسوأ من أن يُطاق. هل هذا ما تركت حياتها في الوطن لأجله؟ وضعت كوبها بيد مرتجفة:" لا أريد أن أجلس. أظن عليّ أن أصعد إلي غرفتي لأتبرد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وأرتاح. . . أنا . . . أنا متعبة". لكن لويس لم يتحمل فكرة ذهابها. يا الله ! لقد حاول أن يقوم بدور الرجل المهذب الكامل. وضع كأسه ثم سار نحوها بخفة الفهد. ثم سألها بنعومة:" أتريدين أن تصعدي إلي الطابق الأعلى يا عزيزتي؟".

فتأملت حذاءها :" هذا ما قلته".

– ألا أستحق منك عناقاً قبل النوم، كما عانقت تيودور؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وسرعان ما التفت ذراعاه حولها وعانقها، من دون أن ينتظر ردها. ذلك أن لا شيء في العالم سيجعله ينتظر أكثر من ذلك . وهي أيضاً قد انتظرته طويلاً .هل كانت تلك نيته؟ أن يبقيها بعيدة عنه حتى تمتلئ شوقاً ورغبة إليه؟ حتى تذوب بين ذراعيه؟ لأن هذا ما حدث بالضبط. فقد بدت وكأنها كتلة من المشاعر المتشوقة الرائعة. توقفت فجأة فحدّقت إليه بتأنيب صامت، فرأت لمعان

عينيه واللون الذي أبرز وجنتيه العاليتين الأرستقراطيتين. بدت له جميلة جداً! ولعوباً تقريباً بوجهها المتوهج وشعرها العسلي المتناثر بغير نظام، رغم أن ثوبها كان محتشماً تماماً .

إنه محتشم أكثر مما ينبغي.

شعرت صوفي أن عليها أن تقول شيئاً لتهدئ من توتر مشاعرها. فقالت :" شكراً لك لويس لأنك وثقت بي فيما يتعلق بتيودور. لن أخيب أملك مطلقاً".

– أنت تجاملينني كثيراً يا عزيزتي.

ثم ضاقت عيناه وهو يري احمرار وجهها السريع. بدت وكأنها . . . وكأنها. . . من المؤكد أنها ليست ثائرة الأعصاب:" هل أخفتك يا صغيرة؟".

أخافها؟ لا. إنه لم يخفها . لكنها ، لسبب ما ، شعرت برعب بالغ. أخذت تفكر في ذلك وهي تنظر إليه واقفاً إلي جانبها أسمر رائع

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الجمال. وفكرت في أنها لم تر رجلاً بروعته قط.

وأخذ لويس خصلة من شعرها إلي الخلف وهو يأخذها بين ذراعيه من جديد . استجمعت شجاعتها لتبتعد عنه، قائلة:" كفي، لويس !

عناق واحد يكفي. فهذا لم يكن ضمن اتفاقيتنا".

– وهل هذه الأمور تحتاج إلي اتفاقية؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ربما لا، لكنني لست مستعدة لأكثر من ذلك.

أغمض عينيه لحظة، متوسلاً لجسده أن يهدأ، ثم رفع ذقنها وأخذ ينظر إلي وجهها وعيناه السوداوان تلمعان برزانة. رغم أن شبح ابتسامة بدا على شفتيه، وهو يقول:" أنت تختبرين صبري، يا صوفي؟". فهمست :" لا أريد أن أختبر شيئاً". فقال يطمئنها :" لا تخافي، عزيزتي. أعدك بأنني لن أضايقك، ولن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أطلب منك ما لا تريدين القيام به". ويبدو أن مخاوفها قد زالت، كما أدرك، لكن تلك المخاوف قد تعود مرة أخري إذا هو عبث معها.

آه، إنه رجل كامل! فكرت صوفي بذلك بيأس. من هو الرجل الذي يمكنه أن ينافس لويس دي لاكامارا؟ عليها أن تنسحب إلي غرفتها بسرعة قبل أن يزداد توترها:" حسناً، تصبح على خير إذاً، لويس". أجابها بذهن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شارد:" نعم. . . تصبحين على خير أنت أيضاً"

سارت صوفي في الحديقة المشمسة نحو بركة السباحة حيث كانت تسمع صدى ضحكات. سارت تحت ظلال الأشجار، ورأت لويس يدهن ظهر ابنه تيودور بالزيت المضاد لحروق الشمس. انحبست انفاسها في حلقها، كالعادة! وتنهدت. كانت تظن أن من

www.riwaya.ga مكتبة رواية

المستحيل أن تصبح مشاعرها نحوه أقوي .

لكن يبدو أنها محطئة تماماً.

ثلاثة أشهر من العيش بقرب لويس كمربية لابنه لم تخفف من تأثيره عليها. وتملكتها الكآبة، يا ليته فقط. . . يا ليته يبادلها الحب! لكنه لا يحبها ولن يحبها وعليها أن تعتاد على هذا. كما أنها لا تستطيع حقاً أن تشكو لأنه يعاملها بكل التهذيب والكياسة الفطريتين اللذين تعوّدهما من خلال نشأته الأرستقراطية.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

كان يضحك لمزاحها وتضحك هي لمزاحه.

ويقرآن الصحف أثناء الفطور ويناقشان مشاكل العالم. كان يعلمها أحياناً كلمات وجمل بالإسبانية، وبهذا يمكنها تحدث بلغته. ما الذي ينقصها إذن؟ كلما العشق والغرام والحب الذي لا يموت؟ إذا كانت تتوقع مثل هذه الكلمات فقد كتبت عليها خيبة الأمل.

إنه لن يسمعها شيئاً منها ، لأنه لم يتعهد بشيء. فهو يريدها من أجل ابنه فقط. رفع

لويس رأسه فرآها. ضاقت عيناه إزاء مظهرها الملفت للنظر، قبل أن تضيء ابتسامة بطيئة ملامحه الصلبة المزهوة:" صباح الخير، صوفي". بدا وسيماً إلي درجة مدمّرة ، وفكرت وهي تقترب منه بأنه من غير المعقول أن ينعم رجل واحد بكل هذه المزايا الجميلة وحده. كانت قطرات الصغيرة من الماء أشبه بحبيبات الماس تتألق على عضلاته المصقولة وقد أصبحت بشرته أكثر سمرة الآن بعد أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لوحتها الشمس. تحكمت في تقاسيم وجهها كي ر يشي بما تشعر من الحنين إليه ، ثم ابتسمت. وصرخ تيودور مسروراً لرؤيتها :" ثو. . في!" فركضت إليه صوفي بذراعين مفتوحتين، وسرورها هذه المرة لا يقل عن سرورها في المرة الأولى التي سمعت فيها لفظه المميز لاسمها ! وقالت بابتسامة عريضة:" صباح الخير يا تيودور. كيف حالك؟".

وكالعادة ، جعلته محاولة الكلام بالإسبانية

www.riwaya.ga مكتبة رواية

يغرق في الضحك، فأخذت تشعّث شعره بحنان ، ثم قالت وهي تهز إصبعها في وجهه:" انتظر، قريباً جداً سأتكلم الإسبانية أفضل منك". حبس لويس أنفاسه عندما جلست القرفصاء بجانبه، وقد انسدل شعرها أمام وجهها

فأخفي ما عليه من تعبير . بينما كان هو يلعن بصمت ، بسبب المشاعر التي أثارتها فيه بالرغم من حسن اختيارها " مايو" السباحة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الذي ترتديه. فهو لم يعرف امرأة قط بهذه الحشمة! كان يعلم أن أكثر النساء يستعملن السباحة فرصة يعرضن فيها من أجسادهن قدر الإمكان. . . ولكن ليس صوفي. ومع ذلك، زرقة " المايوه" الذي ترتديه أبرزت زرقة عينيها، كما أبرزت طول ساقيها . ورغم أن معظم صدرها كان مغطي، إلا أن القماش الرقيق لم يستطع إخفاء مستديراته.

– هل نذهب للسباحة.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قالت صوفي هذا بإسبانية متعثرة وهي تشير بذراعيها وكأنها شبح. فأغرق تيودور في الضحك وهو يرفع ذراعيه إليها لتحمله قائلاً بالإسبانية:" نعم، نعم". حملته صوفي وهي تتشمم زائحة بودرة الأطفال الرائعة فيه ، بينما هو يلف ذراعيه حول عنقها ، ومع ذلك كانت واعية إلي العينين السوداوين اللتين تتابعان كل حركة من حركاتها.

– هل ستأتي؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقطب لويس حاجبيه بشرود:" ماذا؟".

– للسباحة؟

هز رأسه:" سأبقي هنا قليلاً". لكن جلوسه على حافة البركة ورؤيته لهما يسبحان، لم يساعده على تهدئة مشاعره وأخيراً خنق آهة وانقلب على معدته. دوماً كان يتمني امرأة لا تفرض عليه متطلبات عاطفية مستحيلة. لكنه الآن بعد أن وجدها اكتشف أنه يزداد

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إحباطاً. ولكن ما هي بالضبط صوفي هذه ؟
إنها لا تبحث أبداً عن المديح ، ولم تحاول مرة
أن تثير غيرته بالعبث مع أصدقائه في
المناسبات عندما يذهبان جميعاً إلي العشاء.
ولا هي طلبت مرة أن تعرف شعوره نحوها.
إنها شغوف بتيودور ولا تتعب أبداً من
متطلباته. تبدو دائماً هادئة عاطفية للغاية،
محللة للأمور وماهرة. . . إنها كل ما يتمناه

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الرجل. فما هي مشكلته إذن؟ هل ستقف ميراندا بينهما إلي الأبد؟

– تبدو بعيداً أميالاً.

اخترق تأملاته صوت ناعم فنظر ليري صوفي واقفة والماء يقطر منها مدت يدها لتتناول منشفة تجفف بها جسم الطفل الذي بين ذراعيها. فأظهرت حركتها هذه وهي تجففه تفاصيل جسمها بشكل تسارعت معه خفقات قلب لويس.

– ماذا حدث يا لويس ؟

– ولماذا يحدث لي أيّ شيء؟

تبدو عابساً.

فأغمض عينيه:" أنا متعب فقط".

لا عجب في ذلك، كما أخذت تفكر بعطف وهي تنظر إلي ارتفاع ظهره البطيء وانخفاضه أثناء تنفسه. فهو يعمل كثيراً هذه الأيام. وارتسمت ابتسامة على جانبي فمها وهي تجفف شعر الطفل. وفكرت كم أن لويس

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رجل رائع، فهو يكرس الكثير من وقته لابنه بعد عودته من عمله وهذا ما يجعله يشعر بالتعب، أمات هي فلا تشعر بالتعب على الإطلاق. . . بل تشعر وكأنه بإمكانها أن تخرج للاشتراك في مسابقة ركض! أثناء العشاء تلك الليلة راح لويس يحدق إليها من خلال أضواء الشموع المتراقصة :" أتودين مرافقتي إلي حفلة؟". فطرفت بعينيها :" متى؟".

– غداً مساءً.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– هذا الموعد قريب قليلاً، أليس كذلك؟

فقال ببطء:" لم أكن . . . أم أكن متحمساً للذهاب، لكنني أظنك قد تستمتعين بها".لقد بدا الليلة في مزاج غريب . فهو شارد متوتر، وقد بدت عيناه أكثر غموضاً من العادة.

ولكن قد تكون الحفلة ممتعة فابتسمت :" لا بأس، يبدو أنها جيدة . هل أطلب الحلوى الآن؟ ".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

شعر بالغيظ وخيبة الأمل لأنها لم تطرح عليه الأسئلة بشأن تلك الحفلة. لماذا لا تسأله عن مكانها ومن هم أصحابها ومن سيكون حاضراً هناك ؟ إنها ، تقريباً ، لا تهتم لكل ذلك . وقطب حاجبيه. وفي الواقع، كانت صوفي تشعر بالتوتر في داخلها . ولكنها لا تريده أن يشعر بتوترها مطلقاً. كانت تجد زوجات وصديقات أصدقائه رائعات للغاية في ملابسهن وزينتهن. وكأنهن أمضين النهار في

www.riwaya.ga مكتبة رواية

التنقل بين محلات دور التجميل وتزيين الشعر، قبل أن يعدن إلي البيت للاستعداد للحفلة. وهذا لا يعني أنها مهملة كسولة في ملابسها ، لكنها تشعر فقط بأنها لا تُقارن بالأخريات في الأناقة. فقد كانت أظافرها قصيرة غير ملمعة ، ذلك أنها غالباً تمضي قسمً كبيراً من النهار تحت ظلال أشجار الليمون تحفر في الرمل مع تيودور . والرمال يمكنها أن تتلف المخالب وليس فقط الأظافر!

www.riwaya.ga مكتبة رواية

في المساء التالي فتحت خزانتها وأخذت تفحص ملابسها . لم تكن الملابس الأنيقة تنقصها في حياتها الجديدة. فبيعها لحصتها في الشركة جعلها امرأة ثرية. . . حسناً ، غنية نسبياً بالمقارنة مع لويس ، كما فكرت بجفاء . كان لويس قد أخذها لتتسوق في المدينة" بامبلونا" لتشتري ملابس مناسبة لصيف "لاريوجا"الحار. ومرة أخري رفضت أن يدفع

www.riwaya.ga مكتبة رواية

هو ثمنها ، قائلة بعناد:" يمكنني أن أدفع بنفسي. هل نسيت أنني بعت حصتي في الشركة ؟". فهتف حينذاك:" بحق الله! يا لك من امرأة عنيدة. لقد اختلف الوضع بيننا الان".

– وكيف؟

– أنت ترعين ابني . فما السوء في أن أشتري لك بعض الملابس؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقالت بهدوء:" أنات آخذ راتباً مقابل ذلك، ومع أنني لست بحاجة إاي هذا الراتب إلا أنني رضيت به لكي تكون الأمور واضحة بيننا، مع أنني أقوم بذلك لأنني أحب تيودور وليس لأجل المال". فتح لويس فمه ثم عاد فأقفله غير قادر على مجادلة منطقها. ورأت صوفي مزيجاً من الإحباط والإعجاب يلمع في عينيه. هذا حسن! لأنه مضي وقت طويل منذ قررت أن لويس دي لاكامارا قد أمضي وقتاً

www.riwaya.ga مكتبة رواية

طويلاً مع نساء من طراز واحد. فليدرك الآن أن هناك أنواع مختلفة من النساء ، وأن هناك نساء لا يخرجن مع الرجال بهدف الكسب.

أخذت من الخزانة ثوباًَ لم تكن قد لبسته بعد، ذا قماش رقيق هفهاف وردي اللون له حمالات دقيقة وتنورة تظهر ساقيها الطويلتين. كما في حفلة الزفاف ، وضعت على وجهها مزيد من زينة. ليس للتأثير على الآخرين فقط ، ولكن لأن أصباغ الجه تكون قناعاً تختفي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

المرأة خلفه. وكانت واعية جداً للأعين التي ستراقبها ، تلك الأعين المتلهفة إلي معرفة ما الذي يحدث بينها وبين الدون لويس.

كان لويس ينتظرها في الطابق الأسفل وعندما دخلت الغرفة تساءل عما جعلها توافق على الذهاب إلي هذه الحفلة اللعينة. كان بإمكانهما البقاء هنا، يأكلان أطيب الطعام ويشربان أفخر أنواع العصير. ويمضيان الوقت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بالتحدث كما يفعلان في معظم الأمسيات.

كان في خده نبض دائم الخفقان:" تبدين رائعة الجمال عزيزتي". لكن لمعان عينيه السوداوين بدا أكثر تألقاً وهو يقترب منها . شعرت صوفي بالارتباك وألقت نظرة على ساعتها. .

.

– لويس. . .

– تعالي. . .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قال ذلك وشبه ابتسامة تلوح على فمه. شعر أنه سينفجر إن لم يعانقها .

– لويس . . .

عادت تحتج مرة أخرى عندما التفت ذراعان القويتان حولها مرسلتين في جسدها رجفة من الأحاسيس.

– تعالي واجلسي.

قال هذا وهو يقودها إلي الأريكة.

– لكنني ظننتنا ذاهبين إلي الحفلة. .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

- ونحن ذاهبان فعلاً.

راح يمرر يده على شعرها وعنقها وأحس بارتجافها عندما مد يده ليلامس وجنتيها بحنان:" أتعلمين؟ أصبحت أحسد تيودور هذه الأيام".

- لماذا ؟

- لأنه يحظي باهتمامك كثيراً، بينما لا أحظي أنا منك بشيء.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– كفي. . . أنت لا تحتاج إلي اهتمام فلديك.

. .

ولم تستطع إكمال جملتها ، لأن لويس وضع إصبعه على فمها ليسكتها :" لا، ليس لدي سوي تيودور و. . . أنت إذا أردت" . إنها تريد ذلك . ولكن إذا لم يتوقف الآن عن هذا الكلام الناعم فهي لا تعلم بالضبط ما سيحدث. وابتدأ قلبها يخفق بقوة .

– آه، لويس . ماذا تقول ؟ إنك تربكني.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عادا يعانقها مرة أخري وعيناه تشتعلان لشدة مشاعره. لم تعرف صوفي كم من الوقت استمر هذا العناق ، ولم تشعر إلا وهو يبعدها عنه ليقول:" هيا عزيزتي، قبل أن نتأخر على الحفلة". تساءلت عما عسي أن يكون شكلها . . . متوهجة ساخنة! فسألته غير واثقة:" أما زلت تريد الذهاب؟". تصلب فمه وهو يرغم نفسه على الابتعاد عنها:" نعم". فابتلعت ريقها:" امنحني خمس دقائق". بعد قليل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

عادت وقد سوّت شعرها وفاحت منها رائحة الصابون والعطر ، وأمسكت حقيبتها الصغيرة :" هيا بنا". وعندما جلست في السيارة ، بدت مشوشة مضطربة. من المفروض أن يقرّب العناق بينهما. . . أليس هذا صحيحاً؟ لماذا بدا لها لويس فجأة وكأنه بعيد عنها بمليون ميل؟ حاولت أن تخفف من التوتر الذي ساد بينهما:" من هو صاحب الحفلة؟".

– آه ، إذن فأنت مهتمة بذلك!

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– طبعاً مهمته بذلك!

– إنه صديق قديم جداً لي . . . وقد نشأنا معاً، كما أن أسرته تملك كروم عنب فاخرة في " لاريوجا".

فقالت تغيظه:" وهل منتوجاته تنافس منتوجات " دي لاكامارا"؟".

فقال ببطء :" ما رأيك؟". حسناً، فلتجعل مزاجه سيئاً إذن! وهي لن تحاول إرضاءه.

كان عليه أن يكون مبتهجاً بعدما حصل، لا نكداً متوتراً كما يبدو الآن . وقالت باستياء: "أظن عليك أن تمحو هذا العبوس من وجهك". وتمني لويس أن يمحو تلك النظرة الغاضبة عن وجهها بضمها إلي صدره، لكنهما كانا يسيران في طريق المنزل الخاص وسيارة أخري خافهما مباشرة.

في الخارج ، كانت مصابيح مشرقة الألوان تنير المنزل، حيث تقام الحفلة، بألوان قوس قزح.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

خرجا من السيارة في جو الدافئ ، وسمعا أصوات الموسيقي والضحك قادمة من ناحية بركة السباحة.

– هل أنت جاهزة؟

ومدّ لها ذراعه كي تتأبطها لكن صوفي تجاهلتها ، لم تشأ أن تبدو متأبطة ذراعه وكأنها نوع من غنائم! بل قالت بدلاً من ذلك:" فلنذهب".

قدمها إلي مضيفة لورنت غوفر وزوجته الحامل الرائعة الجمال ماريا.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ماذا تريدين أن تشربي يل صوفي؟

سألتها ماريا بابتسامة ترحيب حقيقية.

– بعض العصير من فضلك.

قالت صوفي هذا وهي ترفع نظرها إلي لويس ، لكنه لم يبتسم حين التقت أعينهما. ماذا حدث له هذا المساء؟ وسألت ماريا:" متى يحين وقت ولادتك؟".

– قبل عيد الميلاد مباشرة.

وابتسمت فبانت غمازتاها.

في الخارج ، كانت مصابيح مشرقة الألوان تنير المنزل، حيث تقام الحفلة، بألوان قوس قزح.

خرجا من السيارة في جو الدافئ ، وسمعا أصوات الموسيقي والضحك قادمة من ناحية بركة السباحة.

– هل أنت جاهزة؟

ومدّ لها ذراعه كي تتأبطها لكن صوفي تجاهلتها ، لم تشأ أن تبدو متأبطة ذراعه وكأنها نوع من غنائم! بل قالت بدلاً من ذلك:" فلنذهب".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قدمها إلي مضيفة لورنت غوفر وزوجته الحامل الرائعة الجمال ماريا.

– ماذا تريدين أن تشربي يل صوفي؟

سألتها ماريا بابتسامة ترحيب حقيقية.

– بعض العصير من فضلك.

قالت صوفي هذا وهي ترفع نظرها إلي لويس ، لكنه لم يبتسم حين التقت أعينهما. ماذا حدث له هذا المساء؟ وسألت ماريا:" متى يحين وقت ولادتك؟".

- قبل عيد الميلاد مباشرة.

وابتسمت فبانت غمازتاها.

منتديات *****

- وهل هو أول أولادك؟

- بل الخامس.

فهتفت صوفي بضعف:" يا الله. تبدين وكأنك في سني!".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقال لويس بجفاء:" إنها في سنك فعلاً. ولكن بعض النساء يبدأن منذ الصغر ثم لا يتوقفن عن الإنجاب . أليس كذلك يا ماريا؟".

فأجابت بحماسة:" هذا هو الأخير!".

– الأخير في ماذا؟

ألقي زوجها هذا السؤال وهو يحمل العصير إليهما. فأجابت زوجته وهي تغمز صوفي:" لا شيء". ازداد شعور صوفي بالرتياح. يبدو أن صديقي لويس ظريفان وهما يتقبلانها بشكل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حسن. إنهما صديقان حميمان على كل حال.

وكالعادة كانت واعية إلي نظرات الحيرة من النساء غير المرتبطات، لكنها لم تهتم حقاً. بإمكانهن أن يسدّدن إليه نظرات الهيام كما يشأن، فلويس الليلة برفقتها هي!

كل ما أرادت معرفته هو لماذا يبدو لويس هادئاً رزيناً. ولكن لم تسنح لها فرصة لتسأله فهما لم ينفردا ببعضهما البعض قط . قدم

إليها صحن حلوى، وهمت بالذهاب للبحث عن لويس لتأكل معه عندما انتبهت فجأة

– وهل هو أول أولادك؟

– بل الخامس.

فهتفت صوفي بضعف:" يا الله. تبدين وكأنك في سني!".

فقال لويس بجفاء:" إنها في سنك فعلاً. ولكن بعض النساء يبدأن منذ الصغر ثم لا يتوقفن

عن الإنجاب . أليس كذلك يا ماريا؟".

فأجابت بحماسة:" هذا هو الأخير!".

– الأخير في ماذا؟

ألقي زوجها هذا السؤال وهو يحمل العصير إليهما. فأجابت زوجته وهي تغمز صوفي:" لا شيء". ازداد شعور صوفي بالرتياح. يبدو أن صديقي لويس ظريفان وهما يتقبلانها بشكل حسن. إنهما صديقان حميمان على كل حال. وكالعادة كانت واعية إلي نظرات الحيرة من

www.riwaya.ga مكتبة رواية

النساء غير المرتبطات، لكنها لم تهتم حقاً. بإمكانهن أن يسدّدن إليه نظرات الهيام كما يشأن، فلويس الليلة برفقتها هي!

كل ما أرادت معرفته هو لماذا يبدو لويس هادئاً رزيناً. ولكن لم تسنح لها فرصة لتسأله فهما لم ينفردا ببعضهما البعض قط . قدم إليها صحن حلوى، وهمت بالذهاب للبحث عن لويس لتأكل معه عندما انتبهت فجأة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إلي لحظة صمت تبعتها جلبة حماسة. فرفعت بصرها لتري سبب هذا كله. إنها امرأة ذات جمال خارق، ظننت أنها رأتها على غلاف مجلة أزياء ، بل ربما رأتها فعلاً. بدت المرأة طويلة. . . يوازي طولها طول أطول رجل في الحفلة والذي كان لويس بطبيعة الحال. بدا ثوبها الفضي ملتصقاً بها وكأنه ذيل حورية البحر . أما شعرها الكث الأسود مكان مكوماً على رأسها بشكل حلقات مزينة بالجواهر، تتألق

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وكأنها جواهر حقيقية. جمال وجهها لم يكن عادياً على الإطلاق، فهو يمثل نموذج الجمال الإسباني . وجه بيضاوي بعينين كبيرتين سوداوين وفم ناعم حلو مصبوغ باللون الأحمر . وقد عكس هذا الوجه مشاعر محمومة بقدر ما هو جميل. وهمست صوفي:" من هي هذه المرأة؟". بعد لحظة صمت ، قالت ماريا بحذر:" هذه ألخاندرا. ألم تتعرفي إليها بعد؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لا . . . إنها طبعاً لم تتعرف عليها . ما الذي يجعل لويس يعرفها إليها ؟ ألا يضعه هذا في موقف محرج؟ وتساءلت صوفي بألم عما ستسمعه حينذاك؟ ربما حان الوقت الذي عليها أن تكفّ فيه عن خداع نفسها بإن لويس سوف يحبها يوماً ما . نعم ، إن لويس يعاملها باحترام ، ولكن ذلك يعود فقط لأنها ضمنت لنفسها وضعاً آمنا برعايتها ابنه.

قالت ببطء وهي تعيد الصحن الذي لم يمس

www.riwaya.ga مكتبة رواية

إلي المائدة :" لا . لم نتعرف إلي بعضنا البعض . والآن المعذرة يا ماريا . عليّ أن أذهب لأبحث عن لويس ".

لكنها لم تجد لويس في أيّ مكان . وأخيراً سارت إلي زاوية ظليلة قرب بركة السباحة غير قادرة على مواجهة أي شخص، أو القيام بأي حديث. جلست على المقعد طويل وتنهدت من أعماق قلبها . إنها ، إما أن تبقي إلي أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تشيخ وتجفّ، وأما أن ترحل ما دام لديها القوة على ذلك. كانت ستعيد تقييم وضعها بعد سنة. ولكن انعدام شعورها بالأمان هذه الليلة أخذ يهدد بإغراقها . نعم ، كانا سعيدين طوال هذه الأشهر الثلاثة . لكنه لم يفصح لها عن أية مشاعر نحوها ، إنها بالنسبة إليه مجرد رفيقة مسلية فقط. صوت وقع أقدام قطع عليها أفكارها، فرفعت نظرها لتري

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ألخاندرا واقفة هناك وقد بدت في ثوبها الفضي أشبه بشعاع أثيري برّاق.

– لا بد أنك صوفي. هل تعرفينني ؟

قالت ألخاندرا هذا بلغة إنكليزية سليمة، فأجابتها صوفي :" طبعاً. أنت ألخاندرا". لكن يدها راحت ترتجف وهي تضع الكأس بجانبها. بقيت ألخاندرا لحظة تتأملها بصمت بدون حرج، ثم قالت بكآبة:" أنت جميلة جداً". وهكذا أنت.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقالت ألخاندرا متأملة: " إنه يحب الشقراوات. إنه دوماً كذلك". وفكرت صوفي ساخطة في أنها جعلتها تري نفسها حلقة في سلسلة طويلة من الشقراوات! وفتحت فمها لتوضح للمرأة الأخرى أنها مخطئة في ظنونها وأن موقعها في حياة لويس يختلف كثيراً عن موقع ألخاندرا ، لكن شيئاً ما منعها . فلتظن بها ألخاندرا ما تشاء! لن تهتم لأمرها في تلك اللحظة ظهر شخص أسمر من بين الظلال ثم

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وقف جامداً وكأنه قدّ من حجر. كانت عيناه متأملتين، هذا كل ما استطاعت أن تقرأه في ضوء المساء الخافت.

– آه، إذن فقد تقابلتما أنتما الاثنان؟

وفكرت صوفي وهي تمنحه نظرة باردة، في أنه السيد في تبخيس الأمور! وتقدمت ألخاندرا خطوة إلي الأمام ، مقدمة إليه خدها ليقبله، ولكن، ولدهشة صوفي ، لم يفعل . وإنما أحني

www.riwaya.ga مكتبة رواية

رأسه بتحية رسمية، ثم قال بهدوء: " ألخاندرا، تبدين بصحة جيدة".

- وأنت أيضاً يا عزيزي. أعمال المنزل تناسبك حتماً.

تمتمت بذلك ، لكن فمها التوى بابتسامة سريعة مؤلمة وكأنها تعترف بالحقيقة المرّة وهي أن شيئاً أساسياً في علاقتهما تغير؟ هل قالت هذا لإزعاجه؟ لتجعل الأمر وكأن آخر شقراء

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قد انشبت فبه مخالبها، تستعبده؟ لكنه وافقها على ذلك :" هذا صحيح". ثم نظر إلي صوفي:" هل أكلت يا عزيزتي؟". فكرت صوفي أنها لو أنها تناولت الآن لقمة واحدة فسوف تختنق:" أنا لست جائعة".

– إذن أتحبين أن ترقصي؟

– في الحقيقة يا لويس أكثر شيء أريده هو أن أذهب إلي البيت. أنا أكره أن أفسد الحفلة، لكنني متعبة جداً حقاً .

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أطلبي من سائق لورنت أن يأخذك إلي البيت.

اقترحت ألخاندرا هذا وهي تدفع كتفيها الرائعتين إلي الخلف.

– أنا أيضاً متعب.

قال لويس هذا برقّة لكن عيناه كانتا تنطقان برسالة سرية لصوفي:" هيا بنا يا صوفي . فلنحضر وشاحك ثم نذهب إلي البيت. تصبحين على خير يا ألخاندرا". ومرة أخر

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أحني رأسه بأدب :"كان جيداً أن أراك مرة أخرى".

فأجابت بصوت جاف:" تصبح على خير". لم تنطق صوفي بكلمة حتى أصبحا في الطريق متجهين إلي المزرعة، ثم إذا بكل شيء ينساب من فمها كلسم:"كنت تعلم إنها ستكون هنا، أليس كذلك؟".

– طبعاً كنت أعلم.

– لكنك لم تجد من المناسب أن تخبرني؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أنت لم تسألي.

– وماذا إذا لم أسأل ؟ كان عليك أن تخبرني.

فقال بجفاء :" لم أكن أعلم أن هذا يهمك" .

لكن صوفي كانت من الثورة بحيث لم تنتبه لمعني كلامه:" ما كنت لأذهب إلي الحفلة قط لو علمت أنها ستكون هناك".

– ولِمَ لا؟

فقالت ثائرة:" آه، لا تكن ساذجاً يا لويس! لا بد أن كل شخص هناك كان يظن أنني

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أخذت مكان ألخاندرا في حياتك، ويضحك لرؤية صديقتك السابقة والحالية معاً في حفلة نفسها ؟ هل هذه كانت نيتك ؟ لكي تذلني؟ ".شتم بالإسبانية بصوت خافت بينما تتجه إلي المزرعة، وسألها :" أتظنين ذلك؟ أحقاً تظنين ذلك؟".س

– ماذا عليّ أن أظن غير ذلك؟

فقال يعتبها :" قدمت إليك ذراعي عند وصولنا ، لكي أري العالم كله أنك أنت المرأة

www.riwaya.ga مكتبة رواية

الوحيدة في حياتي، لكنك رفضتها ، أليس كذلك؟ صوفي الهادئة الباردة ومبدؤها الواضح "لا تلمسني" والذي يمكنه أن يحجر الماء في أشد الأيام حرارة!".

– أنا لن أبقي هنا لأسمع إهاناتك لي!

وقفزت من باب السيارة وصفقته خلفها، سائرة مباشرة إلي البيت، مندفعة إلي غرفة الجلوس ولويس في أعقابها يتملكه الغضب .

وعندماانغلق الباب خلفهما وأصبحا وحدهما

www.riwaya.ga مكتبة رواية

، قال لويس:" ما بك صوفي، هل تغارين ؟". استدارت إليه بغضب بالغ:"كنت تحاول أن تثير غيرتي، أليس كذلك يا لويس ؟". ساد صمت طويل ، قال بعده:" نعم ، ربما هذا صحيح"., فحدّقت إليه:" ولماذا تريد أن تثير غيرتي ؟". فأطلق ضحكة قصيرة:" والآن من هو الساذج منا؟".

– أنا لا. . . أنا لا أفهم.

وفجأة ، كل ما كان يغلي في أعماقه بهدوء منذ أسابيع أصبح الآن يغلي بعنف :" لا تفهمين ؟ ألا تفهمين حقاً؟ أظن أن عليا أن أكون شاكراً لأنك تبدين غيورة. على الأقل يريني هذا أنك تشعرين بشيء نحوي"

لويس. . .

فانفجر غاضباً:" هل لديك فكرة عن شعور الرجل حين يحب امرأة ولا يستطيع الاقتراب منها ؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– ماذا؟

– نعم. هذا ما يحصل لي حقاً، صوفي.

– لويس ، هذه سخافة. لم تقل لي شيئاً كهذا من قبل.

– أنت تبعدينني عنك بعيني الساحرة الزرقاوين هاتين، وتلك الابتسامة الباردة الساخرة! ولكن الوقت الوحيد الذي أشعر فيه بأنني قريب من قلبك هو عندما أعانقك.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وشخر بازدراء:" وأنت تعجبين الآن لماذا أردت أن أثير غيرتك؟". لم تره قط من قبل بمثل هذا الانطلاق في المشاعر. . . ليس إسبانياً إلي هذا الحد. وأدركت أنه رغم نشأته الأستقراطية ولغته الإنكليزية الطليقة، هذا الرجل الذي يقف أمامها الآن هو لاتيني حي يتنفس بكل مشاعره المحمومة وصخبه الموروث من عنصره اللاتيني هذا. لكن حيرتها كانت حقيقية عندما ابتدأ غضبها يتلاشي ويحل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مكانه لهفة بالغة إلي أن تعلم ما كان ينبغي عليها أن تسأله منذ وقت طويل. وهو: " وما الذي تريده مني لويس؟".

انطلق من عينيه شرر أسود: " لا شيء أنت غير مستعدة لأن تمنحيه". وفجأة ، فكرة أنها قد تفقده أصبحت حقيقة مخيفة للغاية: " أنا . . .

كنت أظنني أقوم بعملي بشكل جيد". ومرة أخري أخذ يشتم بالإسبانية: " وأنت كذلك

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فعلاً! أحسن مربية في العالم . لكنني لا أريد مربية لابني فقط". قال هذا بهياج بالغ وعيناه كأشعة ليزر سوداء. فتحت فمها ذاهلة وأخذ قلبها يخفق بألم ، وهي تقول بحزن:" أتعني . . . أتعني أنك تريدني أن أرحل؟".

– يا الله! هل عليّ أن أهجيء الكلمات لك؟ أريد أن أعلم ما الذي يدور في ذلك القلب الإنكليزي المجنون البارد الذي لديك! لا، لا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

أريدك أن ترحلي. . . بل أريد أن أعلم ما تشعرين به!

– نحو ماذا؟

فتألقت عيناه وسألها غير مصدّق :" نحو ماذا؟ . . . نحوي أنا طبعاً!". فأشاحت عنه بوجهها . إنه يريد الكثير منها ! إنه يريد كل شيء وأكثر .

– صوفي؟

www.riwaya.ga مكتبة رواية

قال هذا بأقرب لهجة إلي توسل الذي بإمكان لويس أن يوجهه إليها. فقالت بعناد:" لا ". نظر إلي كتفيها المنتصبتين بتمرد، وسألها بهدوء:" لماذا لا؟".

- لأن المشاعر لم تكن جزءاً من الصفقة. أنا جئت إلي هنا لكي أرعي ابنك . هكذا هي الاتفاقية وبكلماتك وليست كلماتي.

- وماذا لو أخبرتك بأنني لم أعد مسروراً بهذه الاتفاقية الحالية؟

فاستدارت إليه:" ما الذي تريد أن تقوله باضبط؟".

– أن المشاعر تتغير، أو أنني كنت أعمي فلم أر أنها كانت موجودة طوال الوقت . وكما ترين. . .

وعض شفته وكأنه يحاول أن يقول كلمات هي غريبة عليه:" أنا أحبك يا صوفي. أحبك من كل قلبي".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فقالت بضعف رغم أن قلبها كاد ينفجر لشدة الخفقان:" لكنك لا تعرف ما هو الحب . هل نسيت؟".

– وكيف أنسي؟

قال هذا بمرارة، متسائلاً عما إذا كان مجنوناً لكي يقول كلاماً كهذا . لكنها كانت ما تزال واقفة بعيداً عنه ، وعيناها ما زالتا حذرتين غير مقتنعتين. حاول جاهداً أن يعبّر عن مشاعره

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بالكلمات ، تلك التي كانت غريبة عنه حقاً.

– ماذا تقولين إذا أنا أخبرتك بأنني وقعت في حبك منذ اللحظة التي رأيتك فيها يا صوفي.

كان شعوراً من القوة بحيث هزّ أساس حياتي.

. .

فقاطعته:" أرجوك! كان ذلك خطأ. . . وأنت تعلم ذلك! فقد كنت ستتزوج ابنة خالتي".

– لا يمكنك أن تمنعي شعوراً يسبّبه شخص آخر لك. إن ما تفعلينه بالنسبة إلي تلك المشاعر هو ما يجعلها خطأ أو صواب. وأنا لم أفعل شيئاً ، لاشيء على الإطلاق ، وكذلك أنت .

فهمست:" أنا أيضاً كنت أريدك، وقد تملكني شعور بالغ بالذنب لهذا . لهذا السبب علّمت نفسي أن أكرهك. أن أقنع نفسي بأنك كنت

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تنظرإلي أي امرأة أخري بنفس الطريقة التي نظرت إليّ فيها ذلك النهار".

هزرأسه وقال بلطف:" أبداً . أنا لم أنظر قط إلي امرأة أخري بمثل تلك الطريقة. لم تتمكن امرأة أخري قط أن تجعلني أشعر بما شعرت به نحوك صوفي . لقد لاحقتني النساء وأقمن مشاريع وطلبنني بصراحة. . . ولكن ليس أنت . وكما ترين ، تعودت على أن أحبك كثيراً ، وما زلت لا أعرف

شعورك نحوي". شعرت صوفي فجأة وكأنها ستصاب بدوار فقالت بضعف :" لويس، هل لك أن تسندني ؟ رجاء؟". لم يحتج إلي كلمة أخري، وإنما مدّ يديه يجذبهاإليه يسندها بذراعيه القويتين ، يحميها . . . أغمض عينيه وأراح خده على شعرها الحريري. وقالت وهي تدس وجهها في صدره:" على كل حال ، أنت تعلم". رفع وجهها وقد تأثر ونزعج معاً لرؤية دموعها:" هل أعلم حقاً، يا عزيزتي؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– نعم، لا بد أنك تعلم. طبعاً أنا أحبك! لا بد اعتدت أن تحبك النساء على دوام.

تجاهل ذلك من باب اللباقة :" أنت لم تتصرفي وكأنك تحبينني. كنت تبعديني عنك، يا صوفي . لا يمكنك أن تنكري هذا".

– لأن الحب يجعل الإنسان ضعيفاً . هذا هو السبب.

فقال بجفاء :" ألم أعلم أنا ذلك لتوّي؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حدقت إليه وكأنه أخبرها أن الشمس ستبزغ في الليل :" أنت ضعيف؟ غير ممكن !".

– نعم، معك أحياناً. وكما ترين، الأمر يختلف معك. يختلف عن كل شيء عرفته وجربته قط.

لكن الماضي هبط بكل ظلمه وثقله، وتفجرت كل مخاوف صوفي:" لا أستطيع أن أبقي معك، لويس. . . ".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فجمد مكانه ، وكرر قولها غير مصدق:" لا يمكنك أن تبقي معي؟". هزت رأسها ، عاملة أن عليها أن تواجه مخاوفها رافعة الرأس لا أن تتركها تتقيح تحت الجلد حيث يمكنها أن تسمم ثقتها وحياتها . فهزت رأسها :" إلا إذا وثقت أنك لن تخونني في المستقبل، أو تتخذ لك صديقة مثل ألخاندرا".

أخذت تؤكد له هذا بعنف بالغ ثم نظرت إلي وجهه :" وكيف لي أن أعلم أنك لن تفعل

www.riwaya.ga مكتبة رواية

ذلك؟". هزت رأسها، فقال ببساطة:" وكيف أنظر إلي امرأة أخري بعد الآن؟ ألا تعلمين أنك تملكين قلبي؟". كان هذا أجمل ما قيل لها. وسالت دمعة على خدها فأخذ يعنفها وهو يمسح الدمعة بإصبعه:" لا مزيد من الدموع ولا حاجة لك بها . تعالي يا صوفي واجلسي بجانبي هنا". وأجلسها على الأريكة تحت النافذة برقة بالغة وكأنها طفلة، ثم رفع يدها إلي فمه وأخذ يقبل أناملها مفكراً.

فسألته :"متى حدث ذلك؟ متى عرفت؟

فهز كتفيه:" من يعلم؟ عندما عدت إلي ".

إنكلترا افتقدتك كالمجنون. وفي البداية حاولت

أن أقنع نفسي أن ذلك مجرد إحباط ، لكن

الإحباط لا يسمم الحياة عادة كنت أريدك،

أريدك على الدوام". فقالت

متذمرة:" تأخرت طويلاً قبل أن تأتي

وتسألني". فأومأ:" لكني كنت بحاجة إلي أن

أتأكد ، لأن ما أطلبه منك هو شيء كبير يا

www.riwaya.ga مكتبة رواية

حبيبتي. ما كطنت لأجازف بسعادة تيودور إذا ظننت أن الأمر لن ينجح معنا قد تتركيه مرة أخري. وعلى كل حال. . . لم أكن أعلم ما سيكون عليه جوابك. وكيف أعلم أنك ستوافقين على التخلي عن حياتك في لندن ومركزك العالي فيها لكي تأتي وتهتمي بتيودور؟ لقد تحققت أعظم وأحلي أمنياتي". شعرت بالثقة في أن تسأله من تحت أهدابها:" وماذا لو أنني لم أوافق؟".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– كنت سأذهب إليك لأحضرك. بشكل ما ، كنت أعلم أنني سأحصل عليك في النهاية.

ارتجفت صوفي وقد أعجبها هذا الكلام: "والآن؟".

ابتسم وهو يري التجاوب في عينيها:" والآن، أخبريني بالضبط متى ستوافقين على الزواج مني؟".

تركته ينتظر حوالي السنة حتى أوشك لويس أن يعترف بخطأ غطرسته. ظن أنه شعر

www.riwaya.ga مكتبة رواية

بالإحباط حين عادت إلى انكلترا في المرة الأولى، لكنه كان مخطئاً. وفكر ذاهلاً في أن هذا هو الاحباط!

هل كانت تتوقع منه أن يتوسل إليها؟ إذا كان الأمر كذلك سيخيب أملها. . . رغم أنها أسرت قلبه طوال حياته ، أفراد أسرة دي لاكامارا لا يتوسلون أبداً.

لكنه كان يطلب منها من وقت لآخر أن تكون زوجته، عادة حين يجد أنه لا يستطيع

www.riwaya.ga مكتبة رواية

مقاومة تأثيرها، و كان جوابها دوماً هو نفسه :"ليس الآن ، يا لويس . ليس الآن".

فيتأوه :" لماذا تجعلينني أنتظر يا عزيزتي ؟

فكانت تلمس فمه بأصبعها :" لأن هذا ليس بالوقت المناسب".

– ومتى يكون إذن؟

– ستكون أول من يعلم.

همست بذلك وهي تعنقه مرة:" قد تكون هذه المرة الأولى في حياتك ، التي يكون عليك

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فيها أن تنتظر!". كان هذا صحيحاً ، لأن مسرات الحياة كانت دوماً تأتي إلي لويس بكل سهولة، وقد اكتشف بنفسه أن تأجيلها الزفاف يثير رغبته فيها أكثر وعندما أخبر صوفي بذلك ضحكت منه.

بدأت صوفي الآن تتعلم الإسبانية، وقد تقاعد لويس لأجلها مع معلم يزورها أثناء قيلولة تيودور، وهكذا كانت تأخذ درساً بعد ظهر كل يوم. كانت تدرس بشكل جاد إلي حد أن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

لويس قال مرة إنه يخاف أن تتفوق عليه باللغة الإسبانية. فقالت بهدوء:" ولم لا؟". أصبح تيودور كبير الآن وتحول من طفل سمين إلي صبي فاتن يسير على قدميه وأصبح الآن ينادي صوفي " ماما" في المرة الأولى التي ناداها بذلك اغرورقت عيناها بالدموع . وعندما رفعت عينيها إلي لويس رأت لمعان عينيه واضحاً. وفي تلك الليلة قال لها:" سيكون حسناً أن نمنح تيودور أخاً أو أختاً".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

– أحقاً؟

– يمكننا أن نستمتع كثيراً معاً ونحن ننجب الأطفال ، يا صوفي.

ثم، ذات يوم في مكتبه، وضعت سماعة الهاتف من يدها والتفتت إليه تقول:" سيأتي والداي إلي هنا ويقيمان معنا فترة الإجازة".

رفع نظراته عن أوراقه:" هذا يسرني إذن . متى؟".

– أواخر الأسبوع القادم.

كان لويس قد اجتمع مع والديها مرتين ، مرة عندما أعاد صوفي إلي إنكلترا مع تيودر ، ومرة عندما برّد حذرهما وشكوكهما أمام حبه الواضح لابنتهما فأخذا يعتبرانه أعظم رجل. وكانا قد زارا جدتها أيضاً وأصدقائها في لندن. حتى ليام نفسه الذي ابتدأ يتعرف بينه وبين نفسه، بأن الإسباني الأستقراطي جعلها سعيدة.

www.riwaya.ga مكتبة رواية

وتمتمت:" عزيزي لويس".

كاد يلتهمها بنظراته:" همم؟".

– أتعلم أن والديّ قادمين؟

– حسناً، لقد أخبرتني بذلك منذ لحظات.

نعم أعلم ، يا عزيزتي ذاكرتي ليست سيئة إلي هذا الحد.

– حسناً. . .

جذبت نفساً طويلاً مدركة أنها أجّلت اللحظة المنتظرة بما يكفي حتى الآن. ذكري ميراندا لن

www.riwaya.ga مكتبة رواية

تتشوه بعد كل هذه المدة ، ولن يشعر أي من الأقارب سوى بالسعادة لأجلهما. وقالت ببطء:" يبدو من المؤسف أن لا نحتفل بالمناسبة".

– أتريدينني أن أقيم حفلة لأجلهما؟

– بل نقيم الحفلة نحن الإثنان. نعم أريد ذلك

.

ونظرت إليه من بين أهدابها :" يمكننا أن نجعلها حفلة زواج، إذا شئت".

www.riwaya.ga مكتبة رواية

فابتسم بكسل:" تعالي إلي هنا".

اقتربت منه ووضعت ذراعيها حول عنقه.

– أنت ستتزوجيني أخيراً. أليس كذلك ،

صوفي؟

– نعم، أرجوك !

– وأنت واثقة تماما ؟

حدقت في عينين السوداوين اللتين تلمعان

بنوع من الحب والشوق . ومضت لحظة قبل

أن تستطيع أن تهمس :" آه ، نعم يا حبيبي

www.riwaya.ga مكتبة رواية

دون لويس ! لم يحدث في حياتي أن كنت متأكدة من شيء أكثر مما أنا متأكدة مما أقوله الآن"

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية

زوروا موقع مكتبة رواية

www.riwaya.ga

تمت